

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



38534018803506



03-B5294 Part

محمد الصادق حسين

# البيت السبكي

بيت علم في دولتي الممالك

« وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الاطلاق  
لا يقدر أحد يرد علي هذه الكلمة . »  
« الفلاح حر لا يد لأدى عليه . »  
ناج الدين السبكي



القاهرة

دار الكتب المصري

شركة صناعة مطبعة

١٩٤٨





الْبَيْتُ السَّيْنِي





محمد الصادق حسين

BP  
80  
S89  
H9x  
1948

# الْبَيْتُ السَّبِيحُ

بيت علم في دولتي الممالك

« وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الاطلاق  
لا بقدر أحد يرد علي هذه الكلمة . »  
« الفلاح حر لا بد لأدنى عليه . »  
تاج الدين السبكي



القاهرة

دار الكاتب المصري

شركة مساهمة مصرية

١٩٤٨



الطبعة الأولى . . . يناير ١٩٤٨



٩٦٤, ٦  
ج. م. ب

٦٩٣١٢

جميع الحقوق محفوظة لدار الكاتب المصري ١٩٤٨



## إهداء

أهدي هذا البحث إلى روح أبي محمد علي حسين صاحب الفضل  
في توجيه قراءتي العربية في صباه .  
وإلى روح تلميذه خالي وأستاذي عبد الحكيم محمد صاحب هذا الفضل  
في شبابي . أرشدني رحمه الله إلى طائفة من الكتب صالحة منها « معيد  
النعم ومبيد النقم » .

محمد الصادق حسين

## شكر

خالص شكري لحضرات موظفي دار الكتب المصرية الذين لم يألوا  
جهداً في إمدادي بالمصادر — مخطوطها ومصورها ومطبوعها — التي  
اعتمدت عليها في هذا البحث .

م. ص. ح.



1864

My dear Mother  
I have just received your letter of the 10th inst. and am  
glad to hear from you. I am well and hope these few lines  
will find you the same. I am writing you a few lines  
to let you know how I am getting on.

Yours affectionately

1864

My dear Mother  
I have just received your letter of the 10th inst. and am  
glad to hear from you. I am well and hope these few lines  
will find you the same. I am writing you a few lines  
to let you know how I am getting on.

Yours affectionately

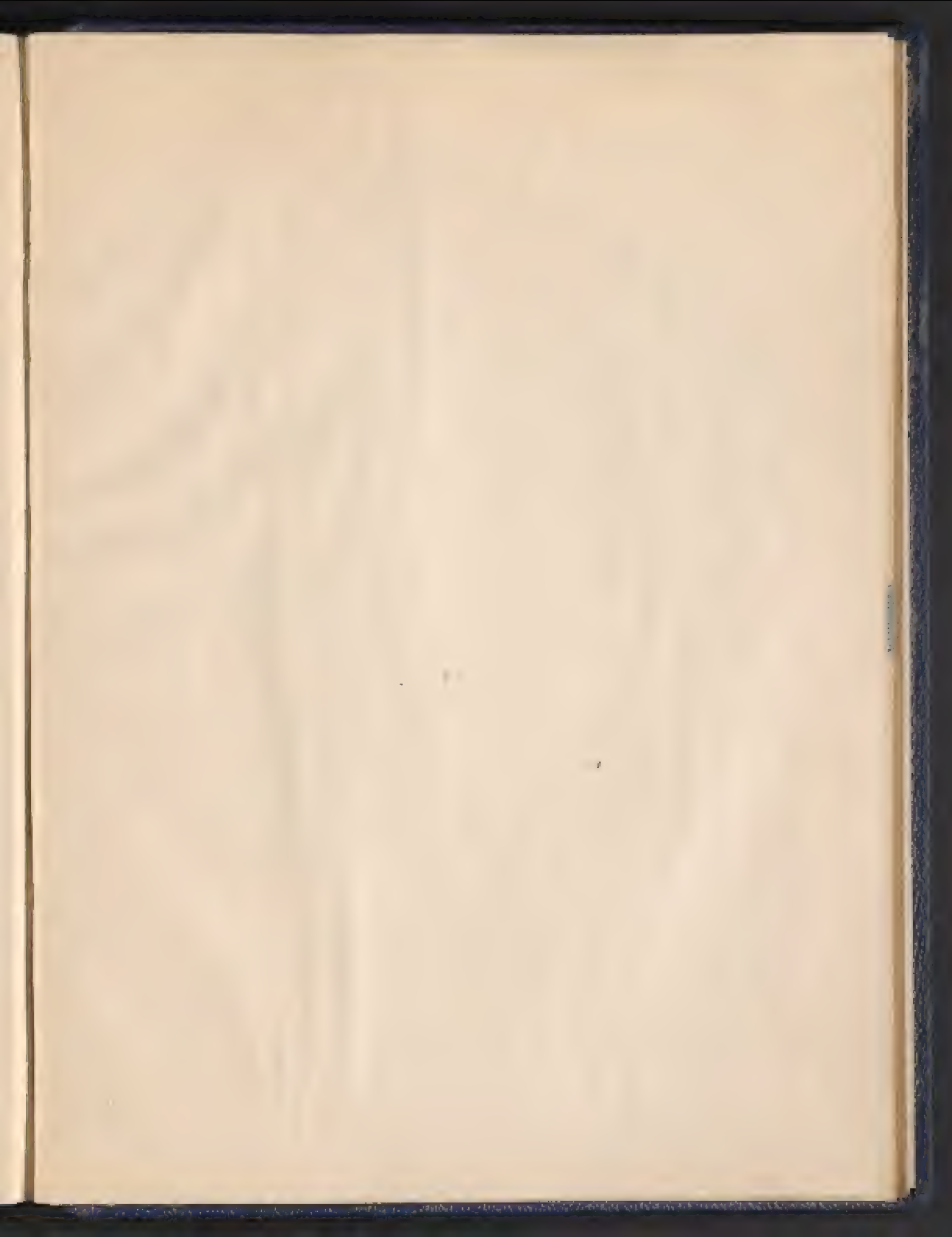


## فهرس

---

مقدمة	مقدمة
١٦	١ - رجل وكتاب
١٣	٢ - البيت السبكي
٢٨	٣ - بيت وبيت
٨٧	٤ - نسبة السبكية
٩٣	







## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد فهذا بحث تاريخي في السبكية وهم تلك الأسرة النفوذة ذائعة الصيت في دولتي المائليك بمن أخرجت من الرجال المتأزين في العلم وفي مناصب التدريس والقضاء . وهو بحث أساسه كتاب « معبد النعم ومبيد النقم » ومؤلفه تاج الدين السبكي من حيث هو مسلح مصري ليس نواحي الضعف في حكومة الأتراك وفي طبقات الأمة لذاك العهد انصدمت لتقدمها بصراحة وجراحة تدعوان إلى الإعجاب ثم وصف وسائل الإصلاح وهي تدور حول قيام كل تواجد في دائرة عمله .

حرك في الرغبة في هذا البحث إعجابي بتاج الدين السبكي وما رأيته من أن مؤرخين وإن وفيه حقه واعترفوا له بمكانته من حيث هو غل من لحول العلماء وإمام من أمم الدين لم يشيروا إليه من حيث هو رجل من رجال الإصلاح في عصره وإنما يؤولفه الجليل في هذا الموضوع وهو « معبد النعم ومبيد النقم » ومن عناوينه من المستشرقين الذين كتبوا عن تاج الدين وغيره من السبكية أخرجوا لنا مع دقة مجهول صورة للكتاب تنقصها فيما أرى « اللون المحلي » تنقصها الصيغة المصرية وغيرها العول في إدراك حقيقته .

وقد تنفعت هذا البحث باستقصاء أفراد السبكية رجالا ونساء وذكر نذكر عن كل منهم بقدر ما تسمح المصادر التي تيسرت في فاني رأيت من كتبوا عن السبكية قد انصروا على البارزين منهم ، وفي المصادر التاريخية عدد لا يسميان به منهم وإن لم يكونوا كبارهم فاعينهم أن تكون منهم مجموعة وافية .

ثم بينت الصواب في قرينة سلك التي هم منها وأند خلاف ما جاء في « الخطط الجديدة التنوفية » لعلي باشا سبارك طيب الله ثراه وجزاه عن أمته خيرا .

واختتمت البحث بما قيل في أن أصلهم من الخرج .

والله أسأل أن يكون بحثا موفقا .

محمد الصادق مسين

الحنفية ، خط مطبوع - في يناير سنة ١٩١٧





## رجل وكتاب

تاج الدين السبكي ، أو تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن السبكي بن أودت أحمد  
 مع اللقب والكنية على عادتهم ، أو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن أبوت أحمد  
 غير مثل بقلب ولا كنية ، أحد الجهابذة الفحول من علماء الإسلام وهو بما أرى مصلح  
 لم يعرف مصر من أبنائها آخر من خرازه حتى ظهر الشيخ محمد عبده فكان إمام الأئمة .  
 ولعل تاج الدين أعظم رجال تلك الأسرة المتوفية أسرة السبكية الذين ذاع صيته  
 في دولتي المليك لا مثازهم في العلم وفي مناصب التدريس والقضاء .

لم يعيش تاج الدين إلا نحو أربعة وأربعين عاماً فكان حياته على مصرها كانت ملائمة  
 بالانتاج العلمي الذي جعله من الأئمة باعتراف معاصريه ومن جاؤا بعده ، فابن حجر  
 العسقلاني<sup>(١)</sup> يقول فيه : في دمشق ظهرت مؤلفات السبكي وهي كثيرة ، ومن التمرت  
 لصانيتها في حياته ورأى فيها السعد اه<sup>(٢)</sup> ، وجلال الدين السيوطي نسق سنة ٨٩٠ هـ  
 بعد كما بعد أباه تقي الدين من الأئمة المحتهدين<sup>(٣)</sup> .

وتدل آثاره وموافقه في الحق التي غاها وأراه من كتبوا عنه على أنه كان — إلى جانب  
 ما امتاز به من علم غزير ولقاء حاد وإنسان طلق وبهجة خالصة وحنونة مودة وصبر على

(١) ابن حجر العسقلاني ( ٧٦٣ — ٨٥٢ هـ ) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد  
 ابن علي بن أحمد قاضي قضاء الشافعية في مصر وكان معاصراً للقرن الرابع عشر من شيوخه محمد الدين القم وراي  
 صاحب التماموس وعنه أخذ ابن حجر الأما . ولد بصر العتيقة ونشأ بها في كتب أحد أوصيائه ، ثم سكر  
 القاهرة وارتحل إلى الشام ومصر والحجاز وما زال مقامه العلمي يعلو حتى غمر عليه القضاء فإلى ثم أحو  
 عليه من قبل ولم يجد له المنصب لعدم نيته من الاستقلال فيه سبب دخول أولى الأمر في شدة معز  
 وأعيد أمره في المنصب وأعاد له ولم يند إليه .

ومن أمس تلاعبه محمد بن عبد الرحمن السقاوي مؤلف في التمام لأهل القرن التاسع .

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج ٢ ص ٢٢٩

(٣) حسن المعاصرة السيوطي ج ٦ ص ١٨٢

العمل المنتج وسعة صدره ونشاطه في المعاملات ورفع واعتماد بالنفس ورقة إحساس وعطف على  
الإنسان والحيوان - من أولئك الرجال ذوي الشخصيات الضخمة والنفوس القوية والأخلاق  
التيهة أولئك الذين يسمون بأنفسهم نواب مدافعهم الخاصة ويأمنون ، وإن تهيأت لهم كل أسباب  
الراحة في الحياة ، أن يصيروا على فساد بينة أو طغيان قوة أو موت حتى وقفاً باطل . فلم  
يكن من أولئك الأندال أبناء الرجال الذين رحبوا بالفساد بسفولته نارهم وسفولته  
لثافتهم . بل أثر أن يكون من رجال الإصلاح وإن أودى وأخطأ فعزل غير مرة وحو تم  
واعنى بطله دمشق . لكن العامة الاسلامي وقد كسى مخطئهم والخطاهه لم ينس له  
في حياته ولم ينس له بعد مماته فضله والآراء .

ولد تاج الدين بالقاهرة سنة ٧٠٤ هـ ( ١٣٠٣ م ) على الأرجح <sup>(١)</sup> في السلطنة الثالثة بناصر  
محمد بن علاء الدين ونوى سنة ٧١٤ هـ ( ١٣١٣ م ) في سلطنة الأسرف ز بن الدين أبي المعالي شعبان  
ابن حسين بن محمد بن علاء الدين ونوى بالطاعون في دمشق ومنها ثقل يسبح قاسيون بترية السبكية .  
انصهرود من سلاطين المملوك هم :

- الناصر محمد بن علاء الدين
- النصور أبو بكر بن محمد بن علاء الدين
- النصور أبو بكر بن محمد بن علاء الدين
- الأسرف كجك بن محمد بن علاء الدين
- الناصر أحمد بن محمد بن علاء الدين
- الصالح جمال الدين بن محمد بن علاء الدين
- الكميل شعبان بن محمد بن علاء الدين
- الظفر حاجي بن محمد بن علاء الدين
- الناصر حسين بن محمد بن علاء الدين ( السلطنة الأولى )
- الصالح صالح بن محمد بن علاء الدين
- الناصر حسين بن محمد بن علاء الدين ( السلطنة الثانية )
- النصور محمد بن الظفر حاجي
- الأسرف شعبان بن حسين بن محمد بن علاء الدين



ونيس لدينا عن تسببه من جهة الأم سوى إشارة إلى أن جده من قبل أبيه هو الخضر  
ابن الحسن بن علي الوزيق فاضى القضاء برهان الدين السجزي<sup>(١)</sup>.

تلقى ما كان يتقنه في زمنه كل من طلب العلم من قرآن وخط وغريبة وحدث وفقه  
وأصول وتفسير وغرويس . وما بلغ ١٠ سنة وفي أبوه قضاء قضاء الشام فذهب معه إلى  
دمشق (١٨٧٣٩) وفيها أتم دراسته على كبار المشايخ وعرف بالذكاء والجد في  
الحصول . ومن جمع منهم يندس زئيب بنت السكال<sup>(٢)</sup> . ومؤرخو ذلك العصر  
لا يفتنون بذكر المعاهد التي تلقى العلم فيها من يترجمون له بل عنادتهم بذكر مشايخه  
وهم يحضون فليست العبرة بالمكان بل بالأستاذ . وكان نظام التعليم لا يسه الطالب بمعونه  
بعينه بل كان له أن ينقل من المعاهد يأخذ ممن يشاء من الأساتذة . وقد حفظ لنا تاج الدين  
نفسه في الطبقات معلومات عن مشايخه وبعض رفقاءه في الطلب منها صورة حية بعض  
أساتذته ورأيه فيهم أينما إلتفتها عندها لأنها من أجياله بحيث تنقلنا إلى عصر تاج الدين  
وكاننا ونحن نسوقها لنعلمه في حياته الدراسة السوس . قال<sup>(٣)</sup> في سباق كلامه عن تلميذه  
المزى وقسمته العلمية العظيمة :

« وكنت أنا كثير الملازمة لذهبي أمشي إليه في كل يوم مرتين بكرة والعصر وأما المزى  
فما كنت أمشي إليه غير مرتين في الأسبوع . وكان سبب ذلك أن الذهبي كان كثير  
الملاحقة والمحبة في . بحيث تعرف من عرف حاله معه أنه لا يكن عبداً كحبيبه في  
وكتب أنا شاباً يرفع ذلك نسي مؤلفاً عظيماً .

«وأما المزى فكان رجلاً عبوساً شديداً . وكان الوالد يجب أن لازم المزى أكثر من ملازمة  
الذهبي لعظمة المزى عنده . وكنت إذا جئت غالباً من عند شيخ يقول هات . ما اسئلك .  
سافرات . ما سمعت . فأحكى له مجلسي معه . فيكون إذا جئت من عند الذهبي يقول جئت من  
عند شيخك وإذا جئت من عند الشيخ فبهم الدين الفقاروي يقول جئت من جامع سكر  
لأن الشيخ فبهم الدين كان يشغلنا فيه وإذا جئت من عند الشيخ فبهم الدين بن التميم  
يقول جئت من الشامية لأنى كنت أقرأ عليه فيها وإذا جئت من عند الشيخ أنى العباس  
الأندلسي يقول جئت من الخاسع لأنى كنت أقرأ عليه فيه وهكذا .

(١) الطبقات الكبرى لتاج الدين ج ٥ ص ٥٥ وعبارة الطبقات في ترجمة السجزي على قدرها مبدئية  
بلى ما يظهر أصحها لا يعول على معرفة شيء عن جده هذا سوى أن أم جده الدين من بيت علم

(٢) الدرر ج ٢ ص ٤٢٥ العدد ٢٤٧ .

(٣) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٥٤ .

وأما إذا جئت من عند النزي فيقول جئت من عند الشيخ ويلصق بلفظ الشيخ ويرفع  
به صوته وأنا جازم بأنه إنما كان يفعل ذلك ليرتبت في قلبي عظمته ويحتج على ملازمته .  
وشعر مرة سأل بدار الحديث الأشرفية فنزلني فيه فعجبت من ذلك فإله كان لا يرى  
لنزي أولاده في المدارس وعلمنا أن في عمرى قنطرة في غير دار الحديث ولا إعادة إلا عند  
الشيخ الوالد ، وإنما كان يخرنا إلى وقت احتفالي التمرير . على هذا ربه ربه الله فسأنته  
فقال لي قال إنك كنت فقيهاً عند المزي وأنا بلغ المزي ذلك أسرع أن يكتبوا اسمي في الطبقة  
العليا ، ليبلغ ذلك الوالد فالزوج وقال خرجنا من الحجة إلى القعب . لا والله عبد الوهاب ذات  
ولا يسعني الآن هذه الطبقة أكتبوا اسمي مع البندلين فقال له شيخنا الذهبي والله هو يوفى هذه  
الدرجة وهو ثوبت جيد هذه عبارة الذهبي فضحك الوالد وقال يكون مع الوسطين . . . ١ هـ .  
مير تاج الدين وهو نائب فائز له بالافتاء وهو في نحو العشرين . وفي دمشق توفي  
التمريش في شهر من المدارس وناب عن أبيه في الحكم ووفى دار الحديث الأشرفية . وفي  
سنة ١٠٥٥ هـ وظف سوقي دست (١) وولى الخطابة في الجامع الأموي ثم صار في السلطنة  
القاسية لنادير حسن طافى قضاء الشام وبقي في هذا المنصب من سنة ١٠٥٩ هـ إلى سنة ١٠٦٥ هـ  
مع استثناء الفترات التي عزل فيها وهي ثلاث فمدة ولايتي قضاء الشام أقل من ٤٠ سنة  
وولد وعمر في نحو الثلاثين .

لم يكن حياته في هذه المدة حياة الموظف الكبير الراضى من المنصب بمظهره ونفوذه  
الكنفى بأداء العمل الرسمى . بل كانت حياة التأليف والنحن حياة الكفاح والنضال . وفيها  
بنت شخصيته واستقلاله برأيه واعتداده بنفسه ، فتراه مثلاً يقول في ورقة كتبها إلى نائب  
الشام : « وألا اليوم مجتهد الدنيا على الإطلاق لا يقدر أحد يره على هذه الكلمة » (٢) .

(١) كتاب دست في مصر ، هم الذين يخلصون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدوا العدل في المواكب  
على لزوم ملازمهم بالخدمة ويترأوت الفحص على السلطان بعد قراءة كاتب السر على ترتيب جُلوسهم  
ويأتمول على الفحص كما يوقع عليها كاتب السر ويصحب كتاب دست إضافة إلى دست السلطان وهو  
معه جُلوسهم للكتابة بين يديه . وهذا هم أمضى كتاب ديم أو الإنشاء باسم الموقعين لتوقيعهم على  
جواب الناصر بخلاف غيرهم . (٢) مسيح الأعشى ج ١ ص ١٣٧ هـ .

يقول تاج الدين : وقد وليت توقيع دست بالشام بين يدي ملك الأمراء الأمير علاء الدين أمير على  
بني طاردي نائب الشام . ١ هـ .

هذا وكثرة دست في الشام لا تختلف عنها في مصر إلا في عرايات . رابع مسيح الأعشى ج ٢ ص ١٨٩ هـ .

(١) حسن الحاضرة للسيوطي طبع مصر ج ١ ص ١٨٣ هـ ، السيوطي وهو مير تاج الدين . مذكور

فيها قال عن نفسه . ١ هـ .









« وحصل له بسبب القضاء محنة شديدة مرة بعد مرة وعومع ذلك في غناية القيات  
ونا عاد إلى منصبه صفع عن كل من أبناء إليه<sup>(١)</sup> . »

و كنت أحب أن أفك على تفصيل الأسباب التي من أجلها عزل غير مرة وحوادث  
واعتقل ؛ لكن تاج الدين وهو صاحب التراجم المتعددة في الطبقات لم يكتب ترجمة نفسه ،  
وإن كان في غير موضع من الطبقات الكبرى معلومات شير للباحث نواحى منه كثيرة ،  
ولم يمتد إلى السن التي فيها يصح أن يفكر في مثل هذه الترجمة ، ولم يجد من معاصريه  
من مترجم له ترجمة مفصلة كما توجد هو لأبيه ؛ فلا تزال تجول تفصيل الأسباب التي  
احتفظت عليه السادة أولى الأمر .

يرى ويستفاد<sup>(٢)</sup> أن السبب إصرار تاج الدين على أحكام أصدرها لم تعجب أولى  
الأمر وطلبوا منه العدول عنها<sup>(٣)</sup> لكن لم أعثر على شيء من هذا القبيل مما ليسر لي  
من المصادر العربية ؛ وكل ما وجدته فيها ما ورد في الدرر عن سبب العزل في المرة الأخيرة  
وافضائه وتبنيها وهي اعتقاله . ٨ يوماً في قلعة دمشق سنة ٧٦٩ هـ . قال : « وكان من  
أفوى الأسباب في عزله المرة الأخيرة أن السلطان لما رسم يأخذ زكوات التجار سنة ٧٦٩ هـ  
وجد عند الأوصياء جملة مستكثرة سرفت يعلم القاضي بوصولات ليس فيها تعيين اسم  
القاضى ، فأراده من ناظر الأيتام أن يعترف أنها وصلت للقاضي ( تاج الدين ) فامتنع فقال  
الأمير إلى عزل القاضي اه<sup>(٤)</sup> . » وقال في موضع آخر : « لما ولي أمير على نيابة السلطنة  
بالديار المصرية قرر الشيخ سراج الدين البقيني في قضاء دمشق وعزل تاج الدين السبكي  
وأخرج بهاء الدين<sup>(٥)</sup> إلى دمشق ليدعى عليه بما في جهته أيام مباشرة أبيه وأخيه . فعقد  
لم مجلس لحكم ابن خطيب الجبل باعتقال تاج الدين فاعتقل بقلعة دمشق وهرب أخوه  
فاختفى عند تاج الملكى قبل أن يسلم وكان يومئذ بدمشق كاتباً نصرانياً اه<sup>(٦)</sup> . »  
فعبارة الدرر مع حاجتها إلى شيء من التوضيح تقتصر كما ترى على سبب واحد من  
أسباب العزل في المرة الأخيرة أما سائر الأسباب فمجهول ولذا أسباب العزل في المرة

(١) الدرر ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٢) Wistenfod مستشرق الماز له مؤلفات عدة منها كتابه عن الإمام الشافعى والشافعية .

(٣) ترجمة تاج الدين في كتاب ويستفاد عن الشافعى والشافعية .

(٤) الدرر ج ٢ ص ٢٢٦ و ص ٢٢٧ .

(٥) هو أخو تاج الدين .

(٦) الدرر ج ٢ ص ٢٢٦ العدد ١١٩ .

الأولى والثمة الثانية . ولا أدري سلام أسند وخطفه في السبب الذي ذكره وقد يكون ما ذهب إليه هو ما جاء في الدرر ويكون قد فهم منه أن تاج الدين هو الذي قرر ما صرف من مال الأبدان . وأن نهماً وجوباً إليه بسبب ما قرر فاصر على ما قرر ودفع تلك التهمة بكل ما فيه من قوة .

فهذه كانت ذمة تاج الدين فإبته لهذا الضعف التالي كما يؤخذ من عبارة الدرر ؟ أرى هذا بعيداً فقد عرف من تاج الدين ترفعه وصلايته وتدينه على أولى الأمر كما سبى في تيد من معية النعم وسيد النعم . وكما نرى في خطبة الطبقات الكبرى حيث يقول : « الحمد لله الذي رفع طبقات العلماء فوق هام الملوك وناجها . » ١ « . ولدينا دليل آخر على أنه كان حرصاً على أن لا يمس سمعة بيته ما يبرح من الناحية المالية : فقد توفي أبوه وعليه دين فالتزم تاج الدين وأخوه بهاء الدين بوفائه (١) . ثم إن الرجل قد أعيد إلى منصبه آخر الأمر فليس يعقل أن يكون لتهمة المالية أساس .

إنما تلمس الأسباب الصحيحة لما حل به من محنة في طبيعة المنصب إذا وليه رجل من طراز تاج الدين لا بل من المؤثرات التي تأتي من ناحية ذوي النفوذ في الحكومة ثم في المسائل التي يجر لها الحسد في نفوس من لا يميلون ما يرون في غيرهم من فضل . ينظر هذا الرأي ما صرح به تاج الدين في ترجمته لأبيه من أنه لما بقاسي صاحب منصب « حتى قضاه الشام قال : « كان من عادته ( أبيه تقي الدين ) حين يمل شهر رجب لا يخرج من بيته حتى ينتهي شهر رمضان - إلا لصلاة الجمعة - فطلبه السلطان الملك الناصر محمد بن علاون ، وذكر له أن قضاء الشام قد شغل بوفاء جلال الدين القزويني وأراد أن يولي ولده قبل أن يبعده استأخّر كان على ما قال سديداً ، قال تاج الدين : يا هذا غاشية في لها وورطة ليته صم ولا تفعلها . » ١ « (٢) . وكان أبوه قد قاسي وهو في هذا المنصب نفسه ليكن الأمر ما يصل إلى اعتقاله ومحاكمته ولا إلى عزله .

ونصرة ما جاء في كتاب بعث به تاج الدين في سنة ٧٦٦ هـ وهو في القاهرة إلى الصفدي وهو بالشام وفيه يشير إلى ما أتى من الأكرام في مصر وإلى انتصاره على خصومه في الشام (٣) وفي ختام رد الصفدي عليه يقول : « فالحمد لله على النصرة . . . وما يغلق

(١) الدرر ج ٣ ص ٦٤ .

(٢) الطبقات الكبرى ج ٦ .

(٣) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٩٥ وما بعدها .



باب إلا ويفتح دونه من الخبرات أبواب ، وعلى كل حال أبو نصر أبو نصر وعبد الوهاب عبد الوهاب . . . (١)

وليس ما قامى تاج الدين في القضاء يستغرب في دولة السادة الأتراك والمشرقة ، ففقد فج القضاء من تدخل رجال الدولة في عملهم تدخلهم من إحقاق الحق ، ومن هذا القبيل ما لافاه ابن حجر وبين ولايته القضاء وولاية تاج الدين نحو من سبعين سنة . فانظر ما يقوله السخاوي (٢) :

تزايد تمدد - معنى ابن حجر - على القبول - قبول القضاء - لعدم فرق أبواب الدولة بين العلماء وغيرهم ، وبالعقوبة في اللوم لرد إشاراتهم وإن ما تكن على وفق الحق بل يعادون على ذلك واحتياجه لمداراه كبرهم وصغيرهم بحيث لا تمكن مع ذلك القيام بكل ما يروونه على وجه العمل وصرح بأنه جنى على نفسه تفقد أمرهم . . . وزهد في القضاء زهداً تاماً لكثرة ما توالى عليه من الانحدار والحن بسببه وصرح بأنه ما بقي في بدنه شعرة تقبل اسمه . . .

لكن تاج الدين كان على ما يظهر أمداً من ابن حجر أعصاباً وأتوى كفافاً وفخلاً . فتبت لأولئك الطغاة وصمد للساميين وبقي في السدان يقوم ويحاول الإصلاح ، فما أنشبه بالشيخ محمد عبده حين احتال الحثباء لترغيه في ترك الافتاء وورطوه فظن لحيلهم وأمر على البقاء في المنصب لينفي في سدة سلاطاً من جملة أئمتهم .

ليس من غرضنا في هذا البحث أن نيسط القول في مؤلفات تاج الدين كلها، بل بحثنا مقصور على معبد النعم وسيد النعم فنكتفي بالإشارة إلى اثنين من مؤلفاته شهيرتهما من جهة ولأنهما من جهة أخرى يعينان على تعيين الفترة من الوقت التي صنف فيها معبد النعم وهما « جمع الجوامع » و « طبقات الشافعية الكبرى » .

فأما جمع الجوامع ففي أصول الفقه وكان تأليفه أو الفراغ منه سنة ٧٦٠ هـ كما جاء في ختامه : « قال المصنف رحمه الله تعالى وكان تمام حياته في أخرات ليلة حادي عشر

(١) الطبقات الكبرى ج ٦ ص ١٠٣

(٢) الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٨

والسخاوي (٨٣١ - ١٠٩٢ هـ) تولى تاج الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي - الله أعلم - تلامذته ابن حجر وهو كذبة من علق ذلك المعركين المؤلفات وله في كتابه الضوء اللامع ترجمة طويلة . نول بالديانة ودفع بالبيع بمولاه الإمام مالك .

ذى الحجة الحرام سنة ستين وسبعائة بمزلى بالدهشة من أرض المرة ظاهر دمشق  
الحروس . ١ هـ (١)

وليس لي أن أبحث في « جمع الجوامع » من الناحية الفنية ، لكنني أشعر وأنا أتصفح  
بأن فيه تركيزاً لا ينسر إلا لذي العلم الواسع والذهن المتندر . وطلعت نظري رأي مؤلفه فيه  
فهو يقول في آخره : « وقد تم » جمع الجوامع « علماً ، شمع كلامه أذاناً صاماً ، الآتي من  
أحسن المحاسن بما ينظره الأعمى ، مجموعاً جموعاً ، وبوضوحاً لا مقطوعاً فضله ولا ممنوعاً ،  
وسرفوحاً عن غم الزمان مدفوعاً ، فعليك بحفظ عباراته لا سيما ما خالف فيه غيره . وإياك  
أن جازر بانكار شيء من التأمل والفكرة وأن تفنن إسكان اختصاره ففي كل ذرة ذرة فر بما  
ذ ذرة الأدلة في بعض الأحاديث إما لتكونها مقررة في مشاهير الكتب على وجه لا يبين ،  
أو تعريفة أو غير ذلك مما يستخرجه النظر الشين . وربما أفصحنا بذكر أبواب الأقوال ، فحسبه  
الغنى نظراً لا يؤدى إلى اللال ، وما درى أننا إنما فعلنا ذلك لغرض تحريك له الحس العوال ،  
فربما لم يكن القول مشهوراً لمن ذكرناه ، أو كان قد عزى إليه على الوهم سواء ، أو غير  
ذلك . فظنير التأمل من السمعل قواه ، بحيث إذا جازسون بأن الاختصار هذا الكتاب  
سعد . وروم القصصان فيه متعسر . اللهم إلا أن يأتي رجل مبذر مبتر ، فدونك مختصراً  
بأجواح المحامد حقيقاً وأصناف المحاسن خبيراً . ١ هـ

سفل « جمع الجوامع » كثير من في حياة مؤلفه وبعد موته واتخذ كتاباً دراسياً في  
المعاهد الإسلامية وبقى إلى عهد قريب يدرس في الأزهر ، يدرسه الطلبة في أواخر أيام  
دراستهم . فلما تغير نظام الأزهر عدل عن جعله من الكتب الدراسية وصار من المراجع .

وأما « طبقات الشافعية الكبرى » فمن أجل كتب التراجم في بابها وذعب بعضهم كما  
ذهب واضعو قهارس دار الكتب المصرية إلى أن المؤلف اختصرها في « الطبقات الوسطى »  
ثم اختصر هذه في « الطبقات الصغرى » وهذا وهم فالثابت أن « الطبقات الوسطى » ألغت  
قبل الكبرى لأنها تجد في جزء من الوسطى غلطوط (٢) : قال المؤلف رحمه الله عليه فرغت  
منه في ليلة الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة أربع وخمسين وسبعائة يدمشق الحروسية  
عزها الله تعالى . ١ هـ و « الطبقات الكبرى » إنما فرغ من تأليفها سنة ٧٣٦ هـ كما جاء

(١) يقول بوكاز : ويستمد منه مؤلف من أن « جمع الجوامع » ألف في تيراب بجوار دمشق ولا  
أدري من أين جاء بوكاز بهذا .

(٢) دار الكتب المصرية تاريخ ٥٥٤ .



في ذيل كثير من الأجزاء وكما ترى في إحدى القطع الثلاث ( في صدر هذا البحث )  
التي يقال إنها بخط تاج الدين .

وثابت أن «الطبقات الوسطى» ألفت وأبو المؤلف من الأحياء . ففي «الطبقات الكبرى»  
أن علي بن عبد الكافي كتب بخطه على ترجمته في «الطبقات الوسطى» عبارة اختتمها بقوله :  
كتبه علي السبكي في يوم السبت مسهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة . (١)  
لكن «الطبقات الكبرى» ألفت بعد وفاة والد المؤلف . ففي غير موضع منها يذكر المؤلف والده  
ويترحم عليه : فلا نزاع إذن في أن الوسطى ألفت قبل الكبرى . ولم يتيسر لي الاطلاع على  
الصغرى لمعرفة تاريخ تأليفها إن وجد فيها ما يدل عليه . لكنني أرجح أنها ألفت قبل الوسطى  
ويكون تاج الدين قد تدرج في وضع طبقاته من المختصر إلى المطول لا من المطول إلى المختصر .  
«الطبقات الكبرى» مقدمة طويلة تدل على علم واسع وفيها في مزاياها كلام من قبيل  
ما جاء في خاتمة «جمع الجوامع» ، وفي هاتين المناسبتين لا يتحرج تاج الدين من الإشادة  
بمزاياه في التأليف حتى يكاد يصل إلى درجة من الزهو كأن يجوز أن تؤخذ عليه لولا  
اعتبارات من روح عصره ومن سنده وما يعده العلماء تحذراً بنعمة الله . ويغلب على ظني أن  
من البواعث على هذا الفخر رغبته في عز المتأولين والحاسدين عزات معنوية هي أسلوب  
من أساليب الدفاع عن النفس لا بأس به . على أن تاج الدين لم يفته في مقدمة «الطبقات  
الكبرى» أن يعود فينواضع ، وأحسبه كان يشعر بأنه أسرف بعض الشيء في التناء على نفسه .

كتب عن تاج الدين غير واحد من المستشرقين . كتب عنه وستفيلد في كتابه  
عن الاسام الشافعي والشافعية ولم يأت بما يخرج عما في الدرر الكامنة وحسن المحاضرة .  
ويحسن في هذا القام أن نلبي إلى سبو من وستفيلد في أهم تلك الكلمة الضخمة التي  
وردت في رسالة من تاج الدين إلى نائب الشام ، وهي قوله وأنا اليوم مجتهد الدنيا على  
الاطلاق لا يقدر أحد أن يرد علي هذه الكلمة . فقد قرأ وستفيلد الاطلاق مصحفة الطلاق  
فظن أن تاج الدين يقول أنا في الوقت الحاضر صاحب السلطان الأعلى في الطلاق  
لا يستطيع أحد معارضي في هذا الشأن اهـ . والعبارة بطبيعة الحال لا تمت إلى هذا المعنى  
بصلة وهي لا تكاد تلقبس على مسلم . ويحبل إلى أن مما ساعد على ذهاب وستفيلد إلى  
هذا المعنى ما كان في ذلك الوقت من ضجة في العالم الاسلامي بسبب ما قام بين ابن تيمية

وبين غيره من العلماء من أخذ ورد في مسألة الضلاق وكان ممن تصدى للرد على ابن تيمية في هذه المسألة أبو تاج الدين .

وكتب عن تاج الدين وغيره من السبكية المستشرق بروكلمان (١) في كتابه الجليل من تاريخ العلوم العربية . وذكر على عادته مؤلفات تاج الدين وأجهت التي هي فيها . وكتب عنه وعن غيره من السبكية « دائرة المعارف الإسلامية » في مادة سبك .

وأما « سعيد النعم وسعيد النعم » وهو المقصود بالذات في هذا البحث فكتب صغير الحجم لير القيمة .

ومن العجيب أن لا يشتهر هذا الكتاب كما يشتهر غيره من مؤلفات تاج الدين السبكي مع أنه الكتاب الذي كشف عن ناحية من العظمة امتاز بها تاج الدين عن غيره من علماء عصره وصرح به على كثرة عددهم في دولتي الإنك . أقول لا يشتهر لأن المصادر العربية قليلة الإشارة إليه ولم تكن بالبحث فيه ، فمصطفى بن عبد الله (٢) يشير إليه في كتبه الظنون بمباراة موجزة ليس فيها ما يدل على أن له شيئاً من القيمة وتاج الدين السيوطي لا يذكره في نصف اسمه ويسميه سعيد النعم (٣) بالفاء ومقدمة الكتاب صريحة في أنه سعيد بالعين ومهاجر دار الكتب المصرية لذكره في كتب التصوف والأخلاق الدينية .

لم يرد في سعيد النعم وسعيد النعم تاريخ الفراغ من تأليفه لكن مؤلفه يجعله قد على جميع الجوامع وعلى الطبقات الكبرى وإذن يكون قد ألفه بعد سنة ٧٩٩ هـ - تاريخ الفراغ من الطبقات - أي في أواخر حياته . بل لعل في إغفال ذكر تاريخ الفراغ منه شيئاً على أن المؤلف توفي قبل أن يتم وضعه في قلوبه النهائي . وينصر هذا الرأي بعض جرائد لدرستها من غرض الكتاب بتأمل . فإذا لم يكن سعيد النعم آخر مؤلفات تاج الدين فهو من أواخرها وضعه بعد أن كتبت وجوبته وكثرت تجاربه وخبرته وحز في نفسه ما رأى من سوء حال الحكومة المصرية وسوء حال الشعب المصري ، قرأى أن يخرج من نطاق عمله الديني الرهني إلى نطاق ديني آخر هو الدعوة إلى الإصلاح .

(١) Bruckelmann من مستشرق الألمان في القرن التاسع عشر والعشرين ومن مراجع كتابه ذكر مؤلفات من يدعهم والكتابات التي هي فيها .

(٢) مصطفى بن عبد الله ١٧١١ - ١٧٦٥ هـ صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون تنوير تجاربه حبه وكتاب حلي وأمل إلى الله العلي .

(٣) من القاهرة ج ١ ص ١٨٣ .



إنما جئتم العناية بدراسة « معبد النعم ومبهد النعم » من المستشرقين ، فيروكلمان يذكره في مؤلفات تاج الدين ويذكر موجزاً عن موضوعه بتخصص فيه مقدمته وما جاء فيها عن الطريقة التي بسلوكها تعود النعم المستويده ، وعن الشكر وأنواعه وعن الأمثلة التي شرح بها المؤلف موضوعه .

وأشار إليه وستفولد بإشارة أكثر إيجازاً .

لكن أحد المتأخرين من المستشرقين وهو الأستاذ موهرمن<sup>(١)</sup> من رجال جامعة أيسله<sup>(٢)</sup> عني بدراسة هذا الكتاب عناية خاصة ولا أعرف من عني بدراسة سواء ، عكف على مراجعة ما وجد من نسخ الكتاب المخطوطة ثم طبعه ( سنة ١٩٠٨ م ) طبعاً مثلاً في مطبعة بريل بمدينة ليدن مثلاً ما بين النسخ من خلاف ونفع الكتاب بتعليقات بالإنجليزية تعين على فهمه ويبحث بالإنجليزية أيضاً والف — وإن لم يجل من هناك — في الكتاب ومؤلفه وأقاربه علماء البيت السبكي يفت العلم الفريد في دولتي المائيك أو بيت العلم والرياسة على حد التعبير السخاوي .

وإني مع اعترافي بدقة هذا المستشرق وبما لبسته وتخليله من قيمة أراه قد اعتبر الكتاب مجموعاً مرتباً من دين وأخلاق واجتماع ، ولكنني أشعر بأن للكتاب في ذوق الناقد المصري طعماً غالباً غير جامع الغالب في ذوق هذا المستشرق وفي نظر المؤرخ المصري صفة محلية خاصة لا أظن الناقد الأجنبي يفتن لما يفتن له المصري من حقيقتها ومغزاها . وقد يكون هذا أثره في الحكم على الكتاب والغرض الأول من وضعه .

فلننظر إذن نظرة إجمالية في العصر الذي أومى بوضعه ثم فيما حواه .

عصر المائيك — البحرية الأتراك والبرجعة الشراكسة حواء — عصر عجيب وحكومتهم جمع غريب في حكم العقل ماأوف في حكم الواقع بين مظاهر الحضارة الباهرة ومفاسد المهجبة القاسية ، بين الخير والتقوى والصلاح في الظاهر والبعد كل البعد عن الخير والتقوى والصلاح في الباطن . المؤرخون من غير المصريين يرون في عصر المائيك على ما قبله من عيوب يسلمون بها سزايا جمّة :

(١) David W. Myhrman

(٢) Upsala بلدة من بلاد مملكة السويد في الشمال الغربي من العاصمة أستوكهولم Stockholm وبينهما نحو ٩٠ كيلو متر . وبأيسله جامعة أُنشئت سنة ١٤٢٧ م فيها مكتبة حوت ما يزيد على ٣٠٠٠٠٠ مجلد غير المخطوطات النادرة .

برون في استقلالاً كفتند للدولة المصرية قوة عسكرية جدت كل اعتداء خارجي .  
ففي زمن المماليك اجتاحت غربي آسيا موجات من التتار قضت على الخلافة العباسية في بغداد  
وهزمت الأتراك المغوليين حتى إذا عددت مصر ووصلت إلى حدودها في الشمال تكسرت  
على صخرة من قوة المماليك العسكرية .

برون هذه القوة العسكرية قد أثبت ما بدأ فيه صلاح الدين من إجلاء الصليبيين عن  
بلاد الاسلام ؛ فعلى يد المماليك كان القضاء على البقية الباقية من ولايات الصليبيين واسترداد  
آخر ما بقي لهم من المدن على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط فلم يبق لهم في الشرق أثر .  
برون للمماليك قوة بحرية تقوم غارات الغزاة في البحر الأبيض وتستولى على قبرص  
ويهدد رودس وننبري للبرتغاليين حين هددوا التجارة في البحر الأحمر .

وبرون مصر قد ازدادت نفوذاً في العالم الاسلامي لما انتهز بيبرس البندقداري فرصة نحو  
الخلافة العباسية من بغداد ، لاحتلال على إحيائها وجعل مقرها القاهرة .

ثم إن المماليك هم الذين استغلوا إلى أبعد مدى مركز مصر من حيث هي طريق للتجارة  
بين الهند وأوروبا ، فكانت حركة نقل السلع من موانئ البحر الأحمر إلى موانئ البحر الأبيض  
من أكثر سوارد الدولة المالية . وقد أسرفوا أحياناً في الرسوم الجمركية حتى هددتهم بعض  
المدن التجارية الأوروبية بقطع علاقاتها التجارية بمصر .

كان من شأن ذلك النجاح العسكري وذاك المركز التجاري الرفيع من قسمة الحكومة  
المصرية في نظر مجاورها والغربيين منها من دول الشرق والغرب ، ومن ثم وجدت الصلات  
بين مصر وبك الدول هذه تبغى الاستعانة بها على خصوصها وذلك تبغى توثيق صلاتها  
التجارية وتسعى إلى أن يكون لتجارها وقناصلها نصيب من عناية الحكومة المصرية . فكثرت  
أصناف مصر وحفاظها من دول التتار والمغوليين وملوك المغرب والأندلس والحبشة والهند  
وإمبراطور الفسطنطينية وصقلية والبندقية وجنوة وغيرها .

وسظهر آخر من مظاهر الحضارة فنن به المؤرخون والفنانون من الغربيين وهو رقى  
العمارة وما يتبعه من طرف هي آفة في دقة الصناعة ؛ فقد عني سلاطين المماليك وأمرأؤهم بإنشاء  
العمارات الجميلة من مدارس ومساجد وخوانق ومدافن امتازت بالثأنق في مآذنها وفي قبائها  
حتى سمي بعض المستشرقين سلاطين المماليك ببناء القباب (١) . وقد تبع رقى العمارة الثأنق

(١) - أنظر ليدون Stanley Lane-Poole في كتابه تاريخ القاهرة The Story of Cairo وهو  
من المستشرقين الأثريين . كتب كتاباً عن مصر الاسلامية تاريخياً وفنياً وكان من قدموا بعد الاحتلال  
إلى مصر واشتهروا مع لجنة الآثار التي أنشئت لتتظرف في المحافظة على الآثار العربية .



في الزخرفة ودقة الصناعة في المنابر والأبواب والقناديل والكراسي . ولم تكن تلك  
المصنوعات الفنية مقصورة على المنشآت العامة بل كانت مما اتخذ المالك للترف في حياتهم  
الخاصة وزينوا به قصورهم الفاخرة .  
أما أبناء مصر فلهم اعتبارات غير اعتبارات الغربيين من مؤرخين وفنانين .

لم يكن المصريون ذلك الاستقلال الذي دافعت عنه حكومة المليك بقوتها العسكرية  
الأجنبية وبموارد البلاد المالية . إنما يكون للاستقلال معنى حين تصير أمور الأمة إليها  
واستقلال مصر في عهد المليك لم تعد منه الأمة شيئاً بل أفادت منه عبثة حائرة أجنبية  
تسند إلى قوة أجنبية . فقد رأى المصريون مع هذا الاستقلال حكومة تستغلهم ولا تترك لهم  
من المناصب والوظائف إلا ما لا سبيل إلى إسعاد المالك الجاهلين : فكان للمصريين  
مناصب القضاء ومحلفهم فيه مقصور على الأحوال الشخصية والأوقاف وتكون الأيتام .  
يذهب بعضهم إلى أن المالك كانوا يجنسون العلماء نفوذهم في جمهور الأمة وفي هذا  
شيء من الحق . وقد يكون لهم عامل آخر حال بين الأتراك والشراسة وبين القضاء على  
العلم والعلماء غير خوف من نفوذهم في العامة والحاجة إليهم فيما يحتاج إلى كاتبين وقارئين  
من لشئون الحكومة عو أن العلماء رجال الدين ومن خصائص السادة الأتراك والشراسة  
والعثمانيين من بعدهم عن روح الإسلام حتى نكأن إسلامهم لم يتعد ظاهراً جلودهم .  
فهم يهابون ما يجهلون . ويقوا من الدين وأهل في رهبة وخوف هو أقرب إلى خوف الأطفال  
من الظلام . لكن هذا لم ينتج توفيراً مريحاً لرجال الدين ولم يمنع من سوء معاملتهم ، فلم  
تكن حياة القضاة في ظل السادة الأتراك والشراسة بالحياة الغنية . ولقد طامنا اضطربوا  
بأولى الأمر من المالك حين يريدونهم على ما لا ترتضد نفوسهم وواجبهم الديني ، وظلوا  
أودى الأفاضل منهم وألف رجال الحكومة الأتراك في خلق التهم ثم إسقاطاً يدل على أنهم  
كانوا أبعد خلق الله عن الإنسانية وأخلاقهم من الحياء .

روى تاج الدين السبكي في « الطبقات الكبرى » (١) أن عبد الرحمن بن عبد الوهاب  
ابن خلف بن بدر العلامي ، وهو قاضي القضاة تقي الدين ابن قاضي القضاة تاج الدين  
ابن بنت الأعمى . وكان قسماً نحوياً أدبياً دتاً من أحسن القضاة سيره وولى من المناصب  
الدينية والعلمية مشيخة الحنفية وخطابة جامع الأزهر وتدريس الشريعة وتدريس الشافعي

والسيد الحسيني بالقاهرة - « جرت له عدة حاضيتها أن ابن الساموسي (١) وزير السلطان  
الملك الأشرف كان يكرهه فعمل عليه وجهه من شهيد عليه بالزور بأسور عظام بحيث وصل  
من بعضهم أنه أحضر شهاباً حسن الصورة أعترف على نفسه بين يدي السلطان بأن القاضي  
ذاهب وأحضروا من شهيد بأنه يعمل الزنار في وسطه فقال القاضي أيها السلطان كل ما قالوه  
يمكن لكن عمل الزنار لا يعصده المصري تعقبا ولو أنكهم تركوه لتركوه فكيف أحمله .  
- وكان القاضي يربط من ذلك بعداً عنه من كل وجه . رجلاً صالحاً لا يشك فيه وآخر  
الأمر أنه نزل مناسياً من القلعة إلى الحبس . وغزل وخيف عليه أن يجهز الوزير من يقاتله  
تمام عنده ملك البيت شيخنا أبو حاتم . حج وعاد من الحجاز فلم يصل إلى القاهرة إلا والسلطان  
الأشرف قد مات . وكذلك وزيره فاعيد إلى القضاء . اهـ . - وله يكنى القضاة كلهم ممن يؤثرون  
الحق على إرضاء أولى الأمر وكان طبعاً أن يسرب بساد الأداة الحكومية حتى إلى هذه  
الطبقة من العلماء المتقدمين فكانوا لا يخلون من معتقدين ومعتقدين .  
على أن الرسول لهذه المالك كانت قائمة في سائر الوظائف وساعد على انتشارها ما ألف  
إنذاك من شراء المناصب حتى مناصب القضاء بالمال .

وكان المصريون وظائف الكتابة كتابة الأتساء وكتابة المال وجباية دوى المدن  
وفي القاهرة على الأخص أعمال العمارة والصناعة . ولما كانوا يعطون عليها حقهم من  
الأجر . أما غير هؤلاء وهم الأغنياء الكبار في أعمال الفلاحة تسخيراً  
للسارتون في الجندية بتسليم قليل تبعاً لحاجة سادتهم ومدى الأعمال العسكرية التي  
هم عليها فأمموا والعربان من أهل البلاد أكثر مشاركة في الحرب لكنهم يحكم طبيعتهم  
سحفتون للقوة مفرقون لغرض التهرب والحكومة متى وجدت الموانع تجرد عليهم التجديدات  
من الإنك تنكس بهم تنكلا أو تنكس على زعمائهم حتى تسكن من القضاء عليهم .

رأى المصريون حكومتهم مجسومة عصابات من الأمراء ونوابكهم يبطش بعضها ببعض  
طبعاً في الوصول إلى السلطة لحياتهم من هذه الناحية سلسلة متصلة من اتن وندائس  
وعند ردى سلطان قائم وإقامة آخر مكانه على نحو لا يمكن معه أن تستقر أمور أمة .

وأما أمة بعض حصر انتهى لشك العصابات من المالك حاد إمراف في القرب والملاذ  
البدنية انتهى يستفد لروء البلاد لتفرق في الدواب وأبيد الظاهر وتترك أعليها في ضحك لا يمتنى .

(١) هكذا في الأصل المطبوع وفي ابن الأثير أن هذا الوزير اسمه ابن الساموس وكان نائب السلطنة  
الأشرف قبل من قدامه فاع غسكا وكان من حواس السلطان وقتل هو والأشرف سنة ٦٩٤ هـ . أما  
عبد الرحمن فابن القضاة مكات وقات سنة ٦٩٥ هـ .



كل أمير متطلع إلى السلطنة يرى من الضروري لموصول إليها الاكثار من مماليكه . فاذا وصل فلابد ان يبقائه سوى إخلاص عصايقه وإعمال الخيلة في إرضاء سائر الأمراء . فهو يسعى إلى إخلاص أولئك ورضى هؤلاء باقتطاعهم الاقطاعات من الأراضي الزراعية ومن ثم صار أغلب أراضي القطر إقطاعات لممالك ثم هو مع ذلك لا يكف عن امدادهم بالسلع السطحية والانتعاش عليهم بالملاهي الفاخرة .

أما الخيد العسكري فلم ير المصريون به بأساً على أنه جهاد في سبيل الله ولا سيما في ذلك العصر الذي حمي فيه الشعور الديني بسبب الحروب الصليبية . ولكن المصريين مع هذا لم يعجبهم إسراف حكومتهم في ابتزاز أموال البلاد في سبيل هذا الخيد الحربي أو قل لم يظفروا هذا الارهاق المالي الذي اقتضت حروب سلاطينهم وأمرائهم فوق ما اقتضته الساليب معيشتهم هم وممالكهم .

وإذا كان لوجود الخلافة العباسية في القاهرة شيء من القيمة فقد كانت قيمة وعمية لم تعد اتخذ الخليفة وسيلة لتبرير ما لا مبرر له من تصرفات السادة المالك من سلاطين وأمراء . ولا أقلن المصريين قد فاتهم أن يسخروا من تلك التثقيبات التي لجأ إليها يبرس في خلق خليفة لم يتم دليل يثبته على أنه نسل خلفاء بغداد ولا سيما بعد أن ضاع الخليفة الأول وأقيم مقامه من لا يعلم نسبه الصحيح إلا الله ولكنه صار خليفة وصار أولاده من بعده خلفاء في القاهرة . ولا أقلن المصريين جهلوا أن الخليفة العباسي في القاهرة لم يكن أحسن حالا ولا أكثر نفوذاً من الخليفة العباسي في بغداد في أضعف حالاته .

وإذا كان بعض المصريين قد أفاد من مركز مصر التجاري ، فإن كل ذي ثروة في البلاد كان على الدوام مهدداً بضياح ثروته لكثرة ما اعتاد المالك من مصادرة أموال الأغنياء على أننا لم نسمع بتجار من المصريين كان لهم في القصور السلطانية من الحظوة مثل ما كان لتجار الرقيق من الأجانب الذين نالهم شرف توريد ما يعجب السلاطين من الجواري الحسنان وشرذ الملاح .

أما رقى العبارة وما ينبعث فالظاهر أنه لم يكن المصريين كثيراً . بل من مثقفهم من كانوا يجهلون بنفورهم من الظلم والعسف في إقامة تلك المنشآت . ولدينا ما يدل على ما كان من هوة بين تفكير علماء المسلمين الذين أشربت نفوسهم روح الاسلام وبين تفكير أولئك الأتراك الذين جهلوا الاسلام فحسبوه مظاهر من بناء مساجد ومدارس ومستشفيات وخوانق ومدافن ومشاركة في صلوات عامة لا تنهاهم عن غشاه ولا تردعهم عن منكر .

لدينا رأي تاج الدين السبكي وفتواه في بناء الجوامع دون حاجة إليها ودون ابتغاء

وجه الله . وفيه ترى هذا الامام الجليل لا يشجع على الاكثار من الجوامع على حين ان  
أمره الأتراك أجهل خلق الله بالاسلام وروح تعاليمه يرون في بناء جامع دون حاجة إليه  
عملاً دينياً من خير ما يتقرب به إلى الله .

بقول تاج الدين في المثال : من أشكته في سعيد النعم : « ولقد رأيت منهم — يعني السلاطين  
وأولى الأمر — من يعمر الجوامع ظاناً أن ذلك من أعظم القرب . فينبغي أن يفهم مثل هذا  
الملك أن إقامة جمعتين في بلد لا يجوز — إلا لضرورة — عند الشافعي وأكثر العلماء فان  
قال قد جوزها قوم فنتا له إذا فعلت ما هو واجب عليك عند الكل فذاك الوقت أفعل  
الجائز عند البعض وأما أنك تزعم ما نهي الله عنه وتترك ما أمر به فثم تريد أن تعمر  
الجوامع بأموال الرعايا فيقال هذا جامع فلان فلا والله لن ينقله الله تعالى أبداً . »

ولدينا موقف العلماء من سناسة طارحيتها في الآفاق وعددها الثورخون من حسبات الممالك  
تحت هي المجموعة التي أقامها السلطان فلاوون وحيوت مستشفاه اشتهور ومدرسته ومدفنه  
وهنا أدخ الكلام للمقرئ في بضع لنا ما كان من أمر هذا البناء العظيم الذي أعجب  
الشعراء . وقال فيه شرف الدين البوصيري :

ببنة علم والدارس حولها	قوى أو نجوم بدرهن منير
ببيت «أحق الظاهرية» <sup>(١)</sup> نورها	وليس بظهر لتجوم ظهور
بناء كأن التحل عندس شكله	ولانت له كالشمع قيد صخور
.....	.....
ومن حباً وجهت وجهك نحوها	تلقنت منها نظرة وسرور
إذا قام يدعو الله فيسأ مؤذن	فما هو إلا لتجوم سمير

لكن العلماء لا يلهمهم عن الخقائق هذه المظاهر .

قال المقرئ<sup>(٢)</sup> وقد تورعت طائفة من أهل الديانة عن الصلاة في المدرسة المنصورية<sup>(٣)</sup>

(١) المدرسة الطاهرية نسبة إلى الظاهر بيبرس المندقاري كان موثقاً من القصر الكبير الفاطمي  
يعرف بقاعة الخيم وما دخل فيها من الذهب من أجواس القصر . اتبع القاعة شيخ الخنابلة ثم ناعها بسلطان  
بيبرس فسميها وبنى مدرسة الطاهرية . ثم بناؤها سنة ٦٦٤ هـ ووقف عليها ريم السلطان الذي  
سمي تحت الإبريق وكانت من أجل مدارس القاهرة لكنها أصبحت بتقدم العهد فرمت وكان بها إلى زمن  
المقرئ بنو سلطنة . ع من الخطط للمقرئ ٩ .

(٢) الخطط طبع بولاق ج ٢ ص ١٧٧ في الكلام عن المارستان الكبير المنصوري .

(٣) نسبة إلى المنصور فلاوون .



والقبة (١) وغابوا المارستان لكثرة عسف الناس في عمله وذلك أنه لما وقع اختيار السلطان على عمل الدار القطبية مارستاناً لدب الطواشي حسام الدين بلالا المغني لاسلام في شرائها فساس الأمر في ذلك حتى أنعمت مؤسسة خاتون (٢) يبيعها على أن تعوض عنها بدار للمها وعباها . فعوضت قصر الزمرد بوحية باب العيد مع مبلغ مال حمل إليها . ووقع البيع على هذا فندب السلطان الأمير سنجر الشجاعى للعمارة فأخرج النساء من القطبية من غير مهلة وأخذ الثلاثة أسير وجمع صناع القاهرة ومصر وقدم إليهم أن يعملوا بأجمعهم في الدار القطبية ، ومنعهم أن يعملوا لأحد في المدينتين شغلا وشدد عليهم في ذلك . وكان مهياً فلأزسوا العمل عنده ونقل من قلعة الروضة ما احتاج إليه من العمدة الصوان والعمدة الرخام والقواعد والأعتاب والرخام البدع وغير ذلك وصار يركب إليها كل يوم وينقل الأنقاض المذكورة على العجل إلى المارستان ويعود إلى المارستان فيقف مع الصناع على الأسافل حتى لا يتوانوا في عملهم ، وأوقف بمائتيكه بين القصرين فكان إذا مر أحد ولو جل الزمور أن يرفع حجراً ويلقيه في موضع العمارة فيترنل الجندى والرئيس عن فرسه حتى يفعل ذلك . فترك أكثر الناس المرور من هناك .

ورتبوا بعد الفراغ من العمارة وترتيب الوقف نياً صورتها ما يقول أئمة الدين في موضع أخرج أهله منه كرهاً وغير مستحقين يعسفون الصناع وأغرب ما عمله الغير ونقل إليه ما كان فيه فعمد به على تحجوز الصلاة فدأ له . أنه فكتب جماعة من الفقهاء لا تجوز فيه الصلاة . فما زال الجدة عيسى بن الحشاش حتى أوقف الشجاعى على ذلك فشق عليه وجمع القضاة ومشايخ العلم بالمدسة المنصورية وأعلمهم بالفتيا فلم يبيح أحد منهم بشئ سوى الشيخ محمد المرجاني فإنه قال أنا أقبت بمنع الصلاة فيها وأقول الآن إنه يكره الدخول من بابها وتضر قائماً فانقض الناس .

واتفق أيضاً أن الشجاعى ما زال بالشيخ محمد المرجاني يلح في سؤاله أن يعمل ميعاد وعظ (٣) بالمدسة حتى أجاب بعد تمنع شديد فحضر الشجاعى والقضاة وأخذ المرجاني في ذكر ولاية الأمور بين الملوك والأمراء والقضاة وذم من يأخذ الأراضي غصباً ويسحق العمال في عمارته وينقص من أجورهم وختم بقوله تعالى : . وبوم بعض الظالم على يديه

(١) مدفن قلاوون .

(٢) صاحبة الدار وهي من نسل سلاطين الأيوبيين .

(٣) الميعاد درس وعظ وكان وظيفة لها مرتب معلوم وكان يجمع إليه ضلوك ميعاد أسند إلى والد

تاج الدين السبكي وإلى غيره من السبكية .

يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً . وكان فسانه الشجاعى الدعاء له فقال يا علم الدين قد دعا لك ودعا عليك من هو خير منى وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : من ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به . ومن شق عليه فاشق عليه . وانصرف .

انصار الشجاعى من ذلك في قلبي وطلب الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد ، وكان له فيه اعتقاد حسن ، وفافوضه في حديث الناس في منه الصلاة في المدرسة . وذكر له أن السلطان إنما أراد محاكاة نور الدين الشهيد<sup>(١)</sup> والافتداء به لرغبته في عمل الخير . فوقع الناس في القبح فيه ولم يتدحوا في نور الدين . فقال له أن نور الدين أسر بعض ملوك الفرنج وقصد قتله ففدى نفسه بتسليم خمسة قلاع وخمسائة ألف دينار حتى أطلقه . فبات في طريقه قبل وصوله بملكته . وعمر نور الدين بذلك المال بأربانته بسبب من غير مستحسنة . فمن أين ما علم الدين تعبد مالا مثل هذا المال وسلطاناً مثل نور الدين . غير أن السلطان له نية وأرجو له الخير بمسألة هذا الموضع . وأنت إن كان وفوفك في عمله بنية نفع الناس فك الأجر . وإن كان لأجل أن يعلم أئاذك علو عمتك فما حصلت على شيء فقال الشجاعى الله المطلع على النبات وفرر ابن دقيق العيد في تدريس القبة . ١ هـ

يقول المفريزى تعديناً على ما تقدم : إن كان التخرج من الصلاة لأخذ الدار القطبية من أهلها بغير رضاهم وإخراجهم منها بعسف واستعمال أقاضي القلعة بالروضة . للمعمرى ما ثبت بنى أيوب الدار القطبية وإخراجهم أهل القصور من قصورهم التي كانت بالقاهرة وإخراج سكان الروضة من مساكنهم إلا كأخذ قلاوون الدار المذكورة وبنائها بما هدم من القلعة المذكورة وإخراج مؤنسة وعيالها من الدار القطبية . وأنت إن أمنت النظر وعرفت ما جرى بينك أن ما تقوم إلا سارق من سارق وغاصب من غاصب . وإن كان التخرج من الصلاة لأجل عسف العمال وتسخير الرجال فشيء آخر بالله عرفت فاني غير عارف . من منهم لم يسك في أماله هذا السبيل غير أن بعضهم أطلق من بعض . ١ هـ

(١) كان سبب بناء المارستان أن السلطان قلاوون لما توجه وهو أمير إلى غزاة الروم في أيام الظاهر بصرى أصابه بدهش قولنج عظيم فمات في الأثناء بأدوية من مارستان نور الدين فبدأ ورثه حتى شاع المارستان فأعجب به ونذر أن آدم أنه ذلك أن بين مارستاناً قلاً تملطن الغلة في محل ذلك . ( تخطيط المفريزى ج ٢ ص ٤٠٦ ) .



وأما النشاط العلمي فلم يكن للحكومة الملكية فضل فيه إلا أن يكون فضل في نوك الأمور فيه على ما كانت قبل قيام دولتهم . وأغلب الظن أن هذه ناحية جهلها فلم يعنوا بها وإنما أنشأوا ما أنشأوا تقليداً لمن سبقهم وجهاً في الشهرة وشعباً مع طبيعة الأتراك من العناية بمظاهر الدين والصالح دون أن يكون في قلوبهم أو نفوسهم أثر لروح الدين أو معنى الصالح . على أن مظالمهم قد أفضت في كثير من الأحوال إلى تعطيل ما أنشأوا أو إلى ما يقرب من تعطيله بسبب الاستيلاء على ما للمؤسسات من أوقاف .

إنما الفضل في النشاط العلمي في مصر لعهد المالك وعهود غيرهم لطبيعة نظام التعليم الإسلامي وقد دخل مصر مع الفتح وأخص مزاياه تيسير طلب العلم لكل راغب فيه ولا غرامة في أن يكون المسلمون من أحرص الناس على طلب العلم وتيسير وسائله فكتابهم يرفع من شأن العلم والعلماء وينبئهم بحجمه على طلب العلم ويكشف لهم بظرفه عملية عن مقدار حرصه على نشر التعليم وله صلى الله عليه وسلم في هذا الميدان إيماء رقيقة واللغة دقيقة لا أثني تاريخ الإنسانية شهد أجمل منها أو أروع . ذلك أن المسلمين أسروا في وفتة بدر سبعين أسيراً وكان صلى الله عليه وسلم ينادي بهم على قدر أموالهم وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم فإذا حذفوا فهو فداؤه (١) . ٥

أنشأ المسلمون أينما حلوا المساجد والجمامع للصلاة وهي تبقى مفتحة الأبواب لا يمنع من دخولها والمكث فيها غنى ولا فقر ولا عظيم ولا خفي ولا بر ولا فاجر فإذا غضيت الصلاة فلا حرج على من في المسجد . يتكلمون فيما يشاءون ويبحثون فيما يريدون . فمن عنده علم يذله للناس يذله في المسجد لمن أراد أن يسمع . ومن هنا كانت مدارسهم مساجدكم . فإذا وقف الحريون ما يدر رزقاً على الأستاذ والطلبة فيها وهذا كان الأغلب وإذا لم يكن هذا الرزق أو كان أقل مما يفي بحاجة الأساتذة والطلبة اتهموا مرتزقاً آخر يستعينون به على طلب العلم . ولم يكن التدريس ولا طلب العلم مقصوراً على أهل البلد ، فالإسلام نظام إنسانية شاملة لا وطنية محدودة ، وللعالم من أية بقعة من بقاع الأرض أن يعرض عنده في المسجد وللطالب من أي قطر أن يستمع إلى من يشاء وإلى من يعجبه من الأساتذة وإلى المادة التي تروق من سواد التعليم . نظام مهما كانت أوجه الاعتراض عليه في نظم التعليم الحديثة

(١) الطبقات الكبرى لأبي سعد ج ٤ ص ٦١ .

ففيه ميزة تقع باب التعلم والتعليم على مصراعيه وإطلاق الحرية العلمية للاستاذ والطالب جميعاً (١).

فما كانت الدولة الأيوبية نشأ إلى جانب هذه المساجد معاهد تعليم أخرى جازوا بها من السرق سموها المدارس اختلفت عن المساجد في نظام مباحثها وفي مرافقها العدة لاقامة الطلبة . لكنها كانت كالمساجد أما كن للعبادة حتى أنها عرفت بالخوامع أكثر مما عرفت بالمدارس . ولعل أفخم هذه المدارس من ناحية العمارة جامع السلطان حسن .

وجاء الأتراك والسراكمسة فقلدوا الأيوبيين وتنافسوا في بناء المدارس وكثرت الأوقاف عليها وأنشأوا الخوانق والرباطات والزوايا للصوفية . وكلما خلت مدرسة من فئة يكون مدفاً لشمسها . هذه المنشآت كلها كانت معاهد تعليم كما كانت كالمساجد أما كن عبادة . وقد نجد في القشاة الواحدة كتاباً يسيل لتعليم الأطفال ثم مدرسة مخصصة لفرع أو غروع من العلم يصل فيها الطالب إلى الغاية في المواد التي يدرسها . فهي تتناول التعليم في جميع مراحده . كثرت إذن معاهد التعليم فانتشر ولم يؤثر في انتشاره ما كان يطرأ على المنشآت من إهمال بسبب التلاعب في أوقافها .

وأنف المصريون في ذلك العهد ما تشعرونه الأبدان من الظلم والتمييز والقسوة

(١) هذا نظام ألقه للمصريون في الأزهر ولاسيما قبل تعديله . وفيما كتبه عنه فستد ستانلي لينبول في سنة ١٩٠١ بيان لوجه نظر التريبيين في هذا النظام من نظم التعليم قال : « في سنة ٩٨٨ هـ كان من اخص ما خصص له الأزهر التعليم وهو من ذلك الحين معدود من أهميات الجامعات الاسلامية وفيه الى اليوم تحتشد جوع الطلبة من جميع الأقطار الاسلامية من سائر الدروب في غربي افريقية إلى ولايات الملاي في شرقي آسيا . بأوى أبناء قطر إلى الرواق المعد لهم في الأزهر ويتلقون عن شيوخه العلوم الاسلامية من فقيه وتفسير وحديث وفقه ونحو وعروض ومنطق وبلاغة الخ . واليوم ( ١٩٠١ ) يجد في الأزهر تسعة آلاف طالب وثيقا يتلقون العلم عن تسع وثلاثين ومائتي مدرس من العلماء وليس من بين هؤلاء الطلبة فرد واحد يدفع قرشا واحداً أجراً عن تعلمه بل منهم من له فرق المجانية مخصصات من أوقاف الأزهر .

« قد يشعر الإنسان بالأسف على منطبق ما يلقى في الأزهر لكن نظامه مع هذا أجل نظام للتعليم وكان المتنعة أبوابه للفقراء على اختلاف أجناسهم وثبان لغاتهم يتلقون العلم على قدم المساواة لاميزة لطبقة على طبقة . وإن أس لاأس خلق الطلبة حول شيوخهم يستمعون في جند إلى مايلق عليهم . . انهم في حالتهم هذه يرجعون بنا الى الثقافة الاسلامية في القرون الوسطى لا تنقصهم جرئية من جزديات ذاك العهد فيروننا رغبة في العلم لا تشويها شائعة من حرمن على حائزة ولا تشويها كثيرة الامتعايات بل من رغبة خالصة بحسن الخدمات القربية أو تعلم منها شيئا من في خدمة الى نظمها . » « تاريخ القاهرة » ، The Story of Cairo من ١٩٢٤ .



عسى ولى الله امره من قبله السكك الدار من بعد الصلوة في علم الدين في دار الله  
 اسماء الطاهر الرضا في دار الله من بعد الصلوة في علم الدين في دار الله  
 الحمد لله الذي جعل في دار الله من بعد الصلوة في علم الدين في دار الله  
 الحمد لله الذي جعل في دار الله من بعد الصلوة في علم الدين في دار الله

الحمد لله الذي جعل في دار الله من بعد الصلوة في علم الدين في دار الله  
 الحمد لله الذي جعل في دار الله من بعد الصلوة في علم الدين في دار الله  
 الحمد لله الذي جعل في دار الله من بعد الصلوة في علم الدين في دار الله  
 الحمد لله الذي جعل في دار الله من بعد الصلوة في علم الدين في دار الله  
 الحمد لله الذي جعل في دار الله من بعد الصلوة في علم الدين في دار الله  
 الحمد لله الذي جعل في دار الله من بعد الصلوة في علم الدين في دار الله  
 الحمد لله الذي جعل في دار الله من بعد الصلوة في علم الدين في دار الله  
 الحمد لله الذي جعل في دار الله من بعد الصلوة في علم الدين في دار الله





في تنفيذ العقوبات وعدم غري الحقيقة قبل التشكيل بالتهمة وطبعي أن يكون أكثرهم  
ثامناً هذه الحالة طيفه الشكفي وهم العلماء .

وزاد حالة البلاد سوءاً خطراً لا ذنب للمالك فيها لكن وجودهما مع ما قدمنا  
من خواص البؤس من شأنه أن يزيد البلاد بؤساً وعمماً تقصير النيل أو طغيانه وفلك الأوبئة .  
ولا يمكن العلم به وحصل إلى وسيلة لضبط النيل فكان إذا طغى أمهك وإذا قصر فأنفجعت  
وما وراء من أوبئة تعصف أهل المدن وأقرى حصداً ، ولم يكن الطب قد اهتدى إلى وسائل  
منع الأوبئة أو مقاومتها .

ولعل عصر المالك هو العصر الذي نبت فيه فكره « لوى وفلاح » والمصريون  
أدركوا بما كان لهذه الفكرة من أثر سيء في المجتمع المصري ولا نزاع في أنه كانت هناك  
هوة بين الحكومة والشعب حتى صارت الأمة بعد أن سكنت حدة الحروب الصليبية ترحب  
بهزيمة جيوش الحكومة في الوقائع الخيرية ، بهذا يقولنا ابن أبياس وهو من أبناء المالك  
إذ يقول (١) : « ولقد كنت سواراً كلاًها في مصر بعد ما ذهب عليها أموال وأرواح ، وقيل  
جماعة كثيرة من الأمراء وكسر الأمراء ثلاث مرات ونهب تركهم وقد انتهكت حرمة  
سلطان مصر عند مفوك الشرق وغربهم حتى إن الفلاحين طمغوا في الترك وسلبوا عندهم  
بسبب ما جرى عليهم من سوار ولأنهم أن تخرج المملكة عن السراية » .

أم المصري لما قدمنا من حالة حكومتهم وسوء أثرها في الأمة مفرق مصر هنا وهناك  
في كتب التاريخ عند سرد الوقائع ولا نرى رجال عهد المالك من تصدى لمواجهة هذه  
الحالة القومية جملة حتى جاء تاج الدين السبكي فأحاط ذهنه الواسع بعيوب الحكومة وعيوب  
الأمة جميعاً ونفذ بصره الثاقب إلى مواطن الداء ثم اقتنع بضرورة الحزمة على تلك الحالة  
والدعوة إلى وجوب إصلاحها بوسيلة من خير الوسائل هي وضع كتاب فيها فكل كتاب  
« بعد النعم وسيد النعم » وهو ما أرى يمتاز بما سبق أن ألفت له من تدرج ذهن تاج الدين  
على الإيجاز والتركيز كقدرته على الأسهاب والتوسع وهو في المجالين مفيد مجيد .

وكان تاج الدين يطيل التفكير فيما يرى ويسمع من حالة الحكومة وما آلت إليه  
أحوال أهل البلاد . اشربت نفسه روح الإسلام وأحاط علمه بشريعة فهو لا يرضى عن  
غير مثله العليا من عدل وحرية وخير من عدل الأتراك الذين اغتربهم فوجدتهم « يملكون

أولئك « وبأنهم لما دعوا للخلاص من ذل » والصلاح حر لا يد لأذى عليه « كما يقول .  
 وإن رجلا من طراز تاج الدين ليعتدوا إذا السار من حكومة الأتراك ورجلها فالاسلام  
 في تلك الحكومة الاسلامية لا يمكن يكون له أثر في سيرة رجلها ولا في تصرفاتهم مع الأمة  
 التي يحكمونها . فقد كانوا فاسدى السيرة الشخصية طغاة ظلمة في أحكامهم وفي عقوباتهم  
 أما الذين عديم فكان ينحصر في بضعة حفلات : حفلة صلاة الجمعة والعبدن وولاية  
 إظهار في رمضان وحفلة الحمل وحفلة مولد النبي وحفلة ختم البخاري . أما القرآن فلا نكده  
 بخدمه به كرويه إلا عندما يكفون بعض النقاء لالوته في مدائن موناخ . ورحم الله السيد  
 لولن البكري إذ يقول في رسالته « المستقبل للاسلام » : « فأت المسلمون أن يفهموا القرآن  
 فهم يسمعونه لنوق في الشور . اء . » وعند تمام الخلاف بين السلطان والأمراء بأنون  
 بالضعف يعلقون عليه أن يخلص بعضهم لبعض ولا يغدر فريق بفريق ولا أفطن في تاريخهم  
 عند فده كان قيا هذه العين أثر في سلوكهم ولا أشك في أنها كانت ميمناً صورية يحاولون  
 بها أن يفسر بعضهم بعضاً . فأتين هذه الظاهر من دين المسلمين . أمثال تاج الدين .

غير تاج الدين الحكومة عن كتب وهو يشغل مناصبها فلم تحف عليه خافية من نواحي  
 الضعف فيها في زمت وفي قبل زمت . فقد كان واسع الاطلاع ووراءه مثل الاسلام العليا  
 في الحكم وسكنه البيت السبكي في الشورى والعلم تحفزانة للعمل الصالح هو من أهل  
 الرفيع يعرف حاتم وبأنهم لحرمانهم حنوبهم .  
 لا يمكن في القيام بواجبه أن يفصر جهده على القضاء والتأليف والتدريس . وأمامه  
 ميدان لا يقل عنها سائاً هو ميدان الإصلاح الشامل إصلاح الحكومة والأمة جميعاً وهذا  
 ما أرى أنه موضوع « معبد النعم وسيد النعم » .

ولنتظر فيه حواه .

الكتاب للالة أنبهم :

أ - مقدمة موجزة في الباعث على تأليفه ونظرية المؤلف فيما يحفظ النعم ويعيدها  
 إذا زالت .

ب - قائمة موجزة أيضاً في فوائد الخدمة بالتزواء النعم .

ج - وهو جل الكتاب - أمثلة عملية تناول فيها طبقات الأمة حكومة وشعباً ودين ما  
 من كل منها من واجبات . وهذا الجزء من الكتاب هو ما يعيننا خاصة في  
 هذا البحث .



ولا بأس بأن نقول هنا شيئاً مما جاء في المقدمة . قال :

قد ورد على سؤالي مضمونه على من طريق من سلب نعمة دينية أو دنيوية إذا سلكها عادت إليه ووردت عليه فكان الجواب : طريقه أن يعرف من أين أتى فيثوب عنه ويعترف بما في المحنة بذلك من الفوائد فيرضى بها ثم يتضرع إلى الله بالطريق التي نذكرها . . . . . فعاد إلى السائل قائلاً اشرح لنا هذه الأمور شرحاً مبيناً مختصراً وصف لنا هذا الدواء وصفة وإدخالاً لتبسيطه فقلت هذا سر غريب جمهور الخلق لا يحيطون بعلمه وتباً عظيم أكثر الناس معرضون عن فهمه لأسباب الغفلة على القلوب ولغلة الجهل بما يجب للرب على المربوب وأنا أقمت عن هذه الأمور في هذا المجموع بحثاً مختصراً لا أرغى فيه عنان الاطناب ، فإنه بحر لا ساحل له لو ركبت فيه الصعب والذلول وتسمت فيه عن ساق البين وخضت فيه لجح الدقائق لتذكرت ما بعسر فهمه على أكثر الخلق ولا تهت إلى ما لم يؤذن لنا في إظهاره من الأسرار العلية . وإنما أذكر من ذلك ما يشترك الخاصة والعامة في فهمه وأخص فيه النعم الدنيوية إذ كانت محط غرض السائل هـ . فهو في هذه العبارة يصارحنا من أول الأمر بأنه لا يريد البحث النظري العالي الذي لا ينفع غير الخاصة بل يريد البحث الذي لا يعجز العامة عن إدراكه ويؤهل كل شك في أن مقصده الأمور الدنيوية فهو إنما يريد إصلاح الأحوال في الحياة .

ثم يأخذ في شرح الأمر الأول وهو أن يعرف من زالت عنه النعمة من أين أتى . فإن النعمة لا تزول سدى وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . ويقول : « واعلم أنها لم تزل عنك إلا لأخلاقك بالقيام بما يجب عليك من حقوقها هـ » ، ونظريته أن ما يجب من حقوقها هو الشكر وأن لشكر أركاناً ثلاثة القلب واللسان والأفعال ثم يشرح كلا من هذه الأركان حتى إذا وصل إلى الركن الثالث - الأفعال - أخذ في إيضاح مراده بأمثلة من الواقع العملي وعدل عن النظريات التي بدأ بها في المقدمة . يقول : « ونحن نرى أن شخصاً غالب الناس بأمثلة مستوعب معظم الوظائف التي استقرت عليها قواعد المسلمين في هذا الزمان وتذكر ما يطالب به صاحب تلك الوظيفة ويخشى عليه سوء العاقبة بسبب التقريط فيه ما يكون موقفاً له من سنة الغفلة ويرشداً لعل الله سبحانه وتعالى ينفع به أقولاً هـ .

لما هذه الأمثلة :

المثال الأول شكر نعمة العينين والثاني شكر نعمة الأذنين ثم ينتقل بسرعة إلى سلسلة طويلة من الأمثلة بدأت بالمثال الثالث وانتهت بالعاشر بعد اثانة أو الرابع عشر بعد المائة

— لا اختلاف في الشيخ ليس هذا محل البحث في تعليقه — فإذا بها جلي الكتاب وإذا بها تتناول طبقات الحكومة والموظفين من الخليفة والسلطان ومازلاً وبعض طبقات الأمة إلى أن تصل إلى من يسميه المؤلف « الشجاة في الطرقات لله » .

يشعر المؤلف نفسه بأنه أطال في تلك الأمثلة بل يصرح بأنها تحتل مصنفات مستقلة وأنحسب هذا يشعر بأن هذه الأمثلة وما ذكر فيها من عيوب وواجبات وطريقة إصلاح هي قصده الرئيسي من وضع كتابه هذا وبهما يكن معنى الشكر من الوجهة النظرية فقد انتهى إلى أنه من الناحية العملية قيام كل إنسان يواجهه في عمله فهو يقول بعد الفراغ من الأمثلة : والحاصل وهو التصور أنه ما من عبد إلا والله سبحانه عنده نعمة يجب أن ينظر إليها ويشكرها حتى شكرها بقدر استطاعته حسب وحياته ولا يستغفرها ولا يربأ بنفسه عنها . . . إلى أن قال فإن هو تقاعها بغير قبول ولم يعطها حقها غشي عليه زواجا عنه واحتاجه إليها ثم نظفها فلا يجدها وإذا زالت فنبعث أن سيب زواجا تقريظ في القيام بحقها .

يمكن أن نعبر هذه الأمثلة أقسام ثلاثة : القسم الأول رجال الحكومة من إداريين وقضاة ومفتين أو كما يقول المؤلف الخليفة فمن دونه من السلطان ونوابه والقضاة وسائر أرباب الأمور : والقسم الثاني رجال الدين من العلماء والصوفية ومن يتصل بهم : والقسم الثالث أرباب الحرف .

لأنما من يدخلون في القسم الثالث فهو يتوهم في رفق وينتهي إلى الأحكام الشرعية التي تتصل بحرفهم وإلى ما يجب عليهم أخلاقياً وما يلقى بهم من آداب السلوك التي تكفل حسن حاطم وإتمام الثقة بهم ومن يعاملونهم . وهو يذكر في هذا « صاحب البرج والسجور » ولكنه لا يفرد بعلماً خاصاً في الفلاح وإن كان الفلاح حاضراً في ذهنه فهو لا يسلط كما سنرى بعد يقبه إلى ما يجب على أولى الأمر للفلاح وكأنه كان يرى الفلاح مستوف الخلق إلى الحد الذي يرضى من الواجبات . ثم هو لا يفتي القرية المصرية قائما بواجب على الحكومة إخمادها الثعالب في القرى .

وأول ما يلفت النظر في كلامه على أهل القسم الثاني رفق من شأن الصوفية فهو يبدأ التكلام عنهم بقوله « حياهم الله وسامع وجعنا في الجنة وإياهم الله » ، ولم أر لمن كتبوا عن مؤلفنا شيئاً عن مبلغ انتفاعه بالتصوف لكننا نعلم منه هو في ترجمته لأبيه أن أباه غنى بالتصوف وولاه عن شيوخه كما تلقى سائر العلوم الإسلامية ، فالمفروض أنه هو أيضاً غنى بالتصوف كما غنى به كثير من العلماء لأنهم يؤمنون بالرياضة الروحية التي لا بد منها للمسلم



ثم إن كلامه عن الصوفية وإنشأته إلى كبارهم وعباراته في مقدمة الكتاب الذي نحن  
نصده وفي خاتمة كل أولئك لا يترك شية من الشك في أنه كان واسعاً في التصوف كبير  
العقيدة فيه . وهو مع هذا لا يقلل التثنية إلى بعض نواحي الضعف في نظام الصوفية  
لعمده وإلى ما يجب لتقوية هذا الضعف . لكن النعمة الغالبة في كلامه عنهم هي الترفع من  
شأنهم وتحذير الناس من الخوض فيهم والاعتراض على ما يبدو من شذوذ في أحوال بعضهم  
وأحوالهم . وعنده أن هذا الشذوذ لا يكون منهم إلا في الحالة المعروفة في التصوف بخلة  
« السكر » .

ثم تأتي إلى كلامه عن العلماء وهنا نراه يبحث في أحوالهم بحثاً مستفيضاً بحسب قراءته  
فيه والعناية بالتأمل فيه .

والعلماء عنده فوق كثير من فنيهم المفسر والمحدث والفتية والأصولي والمكلم والنحوي  
والمؤرخ وما يعيبه عنهم جعلهم العلم سبيلاً إلى حقاء الدنيا - وهو يرى أن يكون العلم  
للعلم - وتزودهم على أبواب السلاطين والأسراء وإشاعة وثقتهم وما لم في طلب القضاء  
وإسراقتهم في الخلاف في الفروع ونعصب كل منهم مذهبه وإغفاله الاستغفال بما هو  
أثير من هذه الفروع شأنياً وأجدي على الأمة وأحسن أنراً في صلاح أحوالها وهو معجب  
بما يثرونه من الخلاف بينهم على حين أن المذاهب الأربعة خلوا بما يدعوا إلى هذا الخلاف  
ويقول مخاطباً العلماء : « لو أن الشافعي وأنا حنيفة ومالك وأحمد أحياء يرزقون لشدونا  
السكير عليكم وقبرأوا منكم فيما تفعلون » .

وهو مع إسهائه في الكلام عن العلماء يقول : « والكلام في العلماء وما ينبغي فيه يقول  
ولكننا نريد على بهجات أ . هـ . وفي هذا المثال من أدلة الكتاب يبدو ما في تاج الدين  
من لطف الطبع والاستعداد للشككة الخلوه يبدو ذلك حين ينسجهم عن الشعر والشعرين .  
أما عند الكلام على أهل القسم الأول فالمؤلف يبدى من الشدة على رجال الحكومة  
ومن الصراحة في إظهار عيوبهم ما يدل على وفرة حظه من الشجاعة الأدبية فليس كلامه  
عنهم مجرد تنبيه إلى واجبات بل هو حملة على قساد حكمهم وسوء سلوكهم الشخصي  
وجوهرهم . وعجب هذا القدر من النقد المالكين في زمن كانت الحكومة فيه لا تتعرج  
من التشكيل بالناس . لكنها النفوس الكبيرة لا تبالى بالآثار المندقة ما دامت تشعير  
بأنها تؤدي واجبات العام .

لا بد من قراءة كل هذا الجزء من معبد النعم لتفاديه حق قدره لكتنا نكتفي هنا بنبذة

نعرف منها أنه حجة كانت حجة تاج الدين في الحجة على النظم القائمة وهو من أكبر سؤالي الدولة قال :

في المثال - : وقد اعتبرت كثيراً من الأثراك يملون إلى أول سالك ، وما ذلك إلا بغفلة المسئولية على قلوبهم إلى أن صيرت قلوبهم كالأرض الغرايبة التي لم ترو بالماء فإذا أتاه ماء رويت سواء كان ذلك الماء حافياً أم كدراً إلا لا بارداً أم كدراً حاراً ثم إذا رويت وجاء ماء آخر صلب حشن لم تشربه ، وصار مائعاً عليها فهمد على القلوب الغافلة عن الحق . اهـ

وفي المثال - : السلطان : إن الله - بوله على المسلمين ليكون رئيساً أكلاً شارباً مستريحاً بل لينصر الدين ويعلى الكلمة .

ومن وظائف السلطان أن ينظر في الانبعاثات ويضعها موضعها . . . فان فرق الانبعاثات على تماثل اصطفاها وزنها بأنواع الملابس والزراكن المحرمة وانفخر بزكوبها بن يديه وترك الدين ينفعون الاسلام جاعاً في بيوتهم ثم سلبه الله النعمة وأخذ بسكى . . . فقال له يا أحق أما علمت السبب أو لست الجاني على نفسك .

وإن استكثر على الفقراء ما بالهمهم ونعروض لأوقاف وقفنا أهل الخير من تقدمه عليهم فهو بلاء على بلاء . . . فان ضم إلى ذلك أنه يبيعها بالبرطيل ويضعها في غير مستحقها فما يكون جزاؤه .

ومن وظائفه بيت مال المسلمين وله دور الشارع المتعارف فيه وجعل لكل مال قواماً وميراً فان تعدى هذا حده وحرفه في شوائبه ولذاته وحسب أن الملك عبارة عن ذلك فلا يلزم إلا حسه . . . وإن أخذ بصرف الأموال على خواصه ومن يريد استالة قلوبهم اليه لبقاء ملكه وأعجبه مدالح الشعراء لكرمهم فذلك خرق .

ولقد رأينا منهم - يعني السلاطين وأولى الأمر - من يعمر الخوامع ظالماً أن ذلك من أعظم القرب فيسفي أن يقوم مثل هذا الملك أن إقامة جمعيتين في بلد لا يجوز - إلا الضرورة - عند الشاامي وأكبر العلماء فان قال قد جوزها قوم قلنا له إذا فعلت ما هو واجب عليك عند الملك اذاك الوقت الفعل الجائر عند البعض وما أنك ترتكب ما نهى الله عنه وتترك ما أمر به ثم تريد أن تعمر الخوامع بأموال الرعايا لئلا هذا جامع فلان فلا والله لن يتقبله الله تعالى أبداً . اهـ

ويقول : ومن أبيع البدع المحرمة قبل الأرض بين يدي الملوك .  
وفي المثال - : نواب السلطنة : وعليهم مثل ما على السلطان ويؤذنون أن من



حقهم سراجته إذا أمر بما يخالف المصلحة . . . وتولية المناصب أهلها وإقامة قتيه في كل قرية لا قتيه فيها يعلم أهلها . ومن العجب أن أولياء الأمور يستخدسون في كل حصن طيباً ويستصحبونه في أسفارهم بمعلوم من يمت المال ولا يخذلون قتيماً يعلمهم الدين . . . ومن مهماتهم النظر في أمر المفسدين من قطاع الطريق وأهل الفتن . . . وإن رأى نائب السلطنة شدة تعذيبهم والمبالغة في عقوبتهم فله ذلك بشرط أن يكون الخامل له على ذلك المصلحة لا الشبهة وحظ النفس . . . ومن مهماتهم النظر في أمر دواكرهم فأكثر ما ينشأ فساد بايهم عنهم .

وفي المثال ٩ - الاستادار: وهو من يتكلم في أنطاع الأمير مع الدواوين والفلاحين وغيرهم: وعليه أن يرقى بأهل القرى ويؤدي أمانة الله التي علقها في رقبته للفلاحين وغيرهم من رعية الأمير كما عليه أن يؤدي حق الأمير إلى هؤلاء أحوج من الأمير إلى الرفق بهم واعتقاد الحق معهم .

وفي المثال ١٠ - الوزير: وهو في زمان المؤلف من ينظر في المكوس وغيرها من الأسوال: ومن حقه بذل النصيحة للملك وكشف أذاه عن أموال الرعية وتخفيف الوطاء عنهم ما أمكنه . وفي المثال ١١ - كاتب السر: ووظيفته التوقيع عن الملك والامتناع على أمراره وعند تصدر التواقيع بالولايات والعزل: ومن حقه إنهاء القصص وتفقيسه إياها فإن أكثر الملوك يعسر عليهم الفهم ويؤثرون من قبل ذلك .

وفي المثال ١٢ - البريدية: وكانت أئمة العدل لا تجرد البريد إلا لمهم من مهمات المسلمين والآن أكثر ما نهت خيول البريد وتساق للأغراض الدنيوية من شراء المراكب وجلب الخواري والأسعة . وإذا ركب قتيه فرس بريد أنكر عليه ذلك وقيل قد أخطأ السلطان أو نائبه في إركابه فإن البريد لا يساق إلا لمهمات السلطنة كأنهم يعنون بمهمات السلطنة ما اعتادوا من شراء ملوك بلخ أو استدعاء سفير حسن الصوب أو خراب بيت شخص أنهى عنه ما لا صحة له . . . وأن ركوب البريد لهذا الغرض خير من ركوبه في أغراضهم الفاسدة .

ومن حق البريد أن لا يجهد الفرس بل يسوقها قدر طاقتها وقد كثر منهم سوق الخيول السوقي للزجاج بحيث نهت لهم أقما علموا أنها خلق من خلق الله تعالى . ١٣

وفي المثال ١٤ - ناظر الجيش: ومن قبائح ديوان الجيش إلزامهم الفلاحين في الاقطاعات بالفلاحة والفلاح حر لا بد لأدى عليه وهو أمير نفسه .

وفي المثال ١٥ - الجندارية: وأكثر ما يكونون حبيساً سرداً لتعاناهم الملوك وهذا

الأمراء يكونون مع الخدم بلا زينة حتى وقت نومهم . وقد كانت الرغبة إليهم لاستيلاء  
سيرة نرد الملاح على قلوب أكثر أهل الدنيا وصارت الجمعدانية المنوع في الملابس الهجة  
المشهورات المشهورة . فزيتون فيربون في ذلك على النساء ويفتنون الناس بجمالهم وحرام على  
جمدار أن يحسب نفسه هذا الغرض وأن يشبه بالنساء أي خفي نه وليس له أن يمكن  
شروطه من أن يتوطد به ولا أن يقبله .

وفي المثال ٢٠ - - السقاء : فياويح أمير مجلس الحكم بين الرغبة وهو سكران .

وفي المثال ٢١ - - الطواشة : ومنهم منهم المالك وهو الذي إليه أمر المردان ولا يعل  
له المواضع على الفجور بهم . وقد كثر في هذه الطائفة نوع القيادة فخدمتهم وذلك  
أفبره وفي الرعام (١) كثر منهم القيادة .

وفي المثال ٢٢ - - الحاجب : فمن خطر له أنه إن لم يسفك الدماء بغير حق ويضرب  
السمين بلا ذنب لا تصفح أياها لغيره أنه بالغ جهول أحق حمار . ذواته مربية الزوال  
ويحسبه سبعة الوهم وهو يثق في الدنيا والآخرة وإذا أخذ الله في نفسه . . . . . فإن قال  
حمار من هؤلاء من أين أعرف هذا ؟ يعني القرآن وأحكامه . وأنا عالمي توكي لا أعرف  
نابا ولا سنة فلنا له . . . . . إذا كنت لا تعرف فاسأل أهل الذكر . . . . . وإن عجزت عن  
الفهم فاسألك والمحول في عمدة الوظيفة . دعها .

وفي المثال ٢٣ - - الوالي (٢) : ومن من طبع الله على قلبه من الولاء بأمر بالرجوع  
أن يهرد إذا أخرج الجلاء في ضربه قام الوالي إلى الصلاة وأطال . سمعت ذلك عن بعض  
الولاة بالقدس (٣) فاستمر الضروب تحت العصي والمقارح ما دام الوالي في الصلاة  
ليرجعه الله .

وفي المثال ٢٤ - - أمراء الدولة : وقد سمعت أن واحدا منهم خرج سرقة إلى الصيد  
فدبض هو ومثاليكه من بنات أهل البر ما يريد علي . . . . . بنتا حواما فإذا فعل واحد منهم  
هذا الفعل وسوع في النفس بالقلمان والخمور والبرطل ونحو ذلك ثم سلبه الله النعمة  
وسلط عليه أهل الأعداء في أسير وقت لا يستعجب بل يذوق بأس الله إذا نزل بساحته .

وفي المثال ٢٥ - - الأجناد : فمن حق الله سبحانه وتعالى عليهم وشكر نعمته أن يصدق  
بالسلاحين فلم شاء الله تعالى لقلب الضلاح جنديا والجندي فلاحا فإذا كان لا يشكر

(١) الولاء هو الذي يحس الناس من الظلمة .

(٢) من الواجب من إليه أمر أهل آخر أم من القوم وغيرهم .

(٣) كتب المؤلف كتابه وهو في الشام .



نعمة الله تعالى على أن رفعة على درجة الفلاح فلا أقل من أن يكفى الفلاح شره وقلقه .  
 وفي المثال ٤٦ - : أفاض في الكلام عن القضاء وواجباتهم ويقول مثلاً يقول أفاض  
 من أوجع ما يركبه القضاء فليسد بابها بالكلمة . . . والقضاء إذا أمكن فيه نصر الحق  
 من أعظم القربات ومن أين نصر الحق وعم لا يدخلون فيه إلا بالسعي وربما بذلوا فيه  
 الذعاب وسدعوب كثير من العلماء أن من يبدل الذعاب على القضاء لا تصح أحكامه . ا هـ  
 وفي المثال ٤٧ - : الغنى : يعيب على طائفة من المثمنين تتبع الرخص في المذاهب لاقناء  
 الأسراء بما يرضيهم ويعيب على طائفة أخرى تشدها في فتاواها العامة ويعجني في هذا  
 المقام قوله : ومنهم طائفة تصلبت في أمر دينها فجزاها الله خيراً فذكر المنكر وأسدده فيه  
 وتأخذ بالأعطى وتزوق مظان التهم غير أنها بالغ فلا تفر لضعفة الايمان من الأدواء  
 والعموم إلا أعطى المذاهب فيؤدى ذلك إلى عدم اعتمادهم وصرعه فخورهم . فمن حق هذه  
 الطائفة اللطافة وتسهل ما في تسهيله فائدة مثل هؤلاء إلى الخير إذا كان السرع قد جعل  
 تسهيله طريقاً كما أن من حقيق التشديد فيه ترى أن في تسهيله ما يؤدى إلى ارتكاب شيء  
 من حرمات الله . ا هـ

وفي المثال ٤٨ - : وما بعده كلام عن المدرسين بالمدارس والتعبدية وغيرهم منه في  
 المدرس قوله : وحق عليه أن يحسن إلقاء الدرس وينصحه لخاصته ثم إن كانوا مسددين  
 فلا يبقى عليهم مالا يناسبهم من المشكلات بل يدرهم وبأخذهم بالأهون فالأهون إلى أن  
 يتبوا إلى درجة التحق وإن كانوا مثمين فلا يبقى عليهم التواضعات بل يدخل بهم في  
 المشكلات . ا هـ

وفي المثال ٤٩ - : عاد العمائر : ومن حقد النطف والرفق بالبنائين وأن لا يستعمل  
 أمداً فوق طاقته ولا يجبره بل يمكنه من الأكل أو يطمعه بحسب ما يقع عليه الشرط وعليه  
 أن يطلق سراحه وقت الصلوات فإنها لا تدخل تحت الإجارة وما يعتمد به بعضهم من تسخير  
 البنائين وإجاعتهم وإعطائهم من الأجرة دون حقهم واستعمالهم فوق طاقتهم من أوجع الحرمات  
 وأنتج الجراحة على الله في خلقه وأوجع من ذلك أنهم يعتمدونه في بناء المساجد والمدارس  
 فلبت شعري بأى قرية يقرئون . ا هـ

ليس « بعد انعم ومبيد النعم » إذن كتاب تصوف وأخلاق دينية وإن مت إلى  
 التصوف والأخلاق الدينية بصفة شأن كل إصلاح يأتي من علماء الدين وفي الإسلام خاصة  
 ولا هو مجرد مجموع سركب من دين وأخلاق واجتماع وإن كان الدين والأخلاق من

لنوازم موضوعه . إنما هو قيل كل شيء دعوة إلى الإصلاح الداخلي في مصر ما في ذلك شك  
ومقدمته سريعة في أن مؤلفه لم يريد به أن يكون كتاباً في التصوف بل قصد أن يجعله  
مختصراً على الأمور الدينية .

الكتاب نقطة التحول في حياة تاج الدين السبكي من عالم ومدرس وفاضل إلى ناقد مصلح  
وهو أخرجه تاج الدين للناس في أواخر حياته ولو شاء الله في أجله لأخرج غيره في هذه الدعوة  
إلى الإصلاح فإنه يسير في غير موضوع من الكتاب إلى أنه يتوخى الابتعاد عما يحتاج إلى  
الأسباب ويعمل مؤلفاً خاصاً وقد عودنا كثرة الانتاج والتدرج من التوجز إلى الطول الموقوف  
عنه لشنع هذا المجموع المختصر بمضولات وتعرفه التاريخ مصلحاً أكثر مما عرفه عالماً .  
وتاج الدين في كتابه هذا يكلف لنا عن طباع مزدوج هو من أخص مزاج الداعين  
إلى إصلاح أداة الحكم في الأمة المغلوطة على أمرها : رقة لا حد لها مع المستضعفين المظلومين  
وشدة لا عوائد فيها مع الظغاة الفاضلين . إحدى يديه تمسح دموع البائسين والأخرى  
تضرب الوجوه والأدبار من الفاضلين وهو بهذا يرجو أن يرق أولئك وينفض من هؤلاء  
حتى يتحقق التماسك الذي لا يد منه كي نستقيم أمور الأمة .

ما تاج الدين السبكي في دعوته هذه إلا طليعة مبكرة لأمثال جمال الدين الأفغاني  
وعبد الرحمن الكواكبي والشيخ محمد عبده الذين تصدوا في القرن التاسع عشر لإصلاح  
الأمة الإسلامية ومحاولة نظم الحكم التركي . والتأمل في دعوة تاج الدين السبكي ودعوة الشيخ  
محمد عبده يرى الرجلين لا يختلفان إلا في تنفيذ طبيعة الزمن الذين عاشا فيهما بل إن كثرة  
أوجه الشبه بينهما تدل على التشابه الكبير بين حالة مصر في العهدين هذا التشابه الذي  
يصر رأي القائلين ببطء التطور في مصر وسائر بلاد الشرق . على أن حركة الإصلاح  
في مصر في القرن التاسع عشر لم تقتصر على رجال الدين بل شاركهم في نفوذهم من الحكم  
التركي الشرقي كل مسلم التفكير من أحسنوا بذلك الفساد الذي طغى على البلاد .  
ففي مصر نرى محمود سامي البارودي وهو من نسل الشراكسة يعمل على هذا الحكم  
يفلسه قبل أن يشارك في محاولة التخلص منه بعدد كما ترى في قصيدته هذه وقد كتبها في  
حكم الخديوي اسماعيل :

فدب جند المعالي حلبة الغزل	ونفث في الجند ما أغنى عن الخزل
بأبي في النفي قلب لا يتصل به	عن سرعة الخجد سحر الأعين التجمل
أقسم غائبتي في الأغصان باحبه	عن حره النقص لا بالبيض في السكل



لم يلحقني عن طلاب الخير غائبة  
 كم بين متعذب يعمو لمكرمة  
 لولا الشاوت بين الخلق ما ظهرت  
 فانفض إلى صهوات الخجد معتلياً  
 ودع من الأمر أدناء لأبعده  
 قد يظفر الفسانك الأولى بعاجته  
 وان على حذر اسم قريب اتقى  
 ولا يغتر بك بشر من أخى ملقى  
 لو يعلم اثره ما في الناس من دخن  
 فلا تنق يوداد بل معرفة  
 واخش القيمة واعلم أن قائلها  
 كم قرية صدمت أركان ملكة  
 فاقبل وصاني ولا تصرفك لأغية  
 إنه امرؤ نفسي حلمي وأهني  
 فما سريت تساع الحلم عن سله  
 حليت أنظر هذا الدهر تعريه  
 فما وجدت على الأسماء باقيه

أهل العنوق به في طاعة الخمل  
 أدهى على النفس من يؤمر على نكل  
 بغضا وبفظه الديوان من ملل  
 قواعد الملت حتى نسل في نخل  
 بعد الآباء وكانت زهرة النخل

غيظاً وأكبادهم تنفذ من دخل  
 فالشمس وهي ضياء آفة النخل  
 ونحلة الروع تلي شيمة الخمل  
 أضحت سناخاً لأهل الزور والخمل

لم يلحقني عن طلاب الخير غائبة  
 كم بين متعذب يعمو لمكرمة  
 لولا الشاوت بين الخلق ما ظهرت  
 فانفض إلى صهوات الخجد معتلياً  
 ودع من الأمر أدناء لأبعده  
 قد يظفر الفسانك الأولى بعاجته  
 وان على حذر اسم قريب اتقى  
 ولا يغتر بك بشر من أخى ملقى  
 لو يعلم اثره ما في الناس من دخن  
 فلا تنق يوداد بل معرفة  
 واخش القيمة واعلم أن قائلها  
 كم قرية صدمت أركان ملكة  
 فاقبل وصاني ولا تصرفك لأغية  
 إنه امرؤ نفسي حلمي وأهني  
 فما سريت تساع الحلم عن سله  
 حليت أنظر هذا الدهر تعريه  
 فما وجدت على الأسماء باقيه

لكننا تعرض للنسر في زمن  
 قامت به من رجال السوء طائفة  
 من كل وغد يكاد الست يدفعه  
 ذلت بهم مصر بعد العز وانطربت  
 وأصبحت دولة القسطنطين خاضعة

فوم إذا البصروي مقبلاً وجموا  
 قال يكن ساءهم فضلي فلا عجب  
 توهت نفسي عما يدنسون به  
 ينس العشير ويشت مصر من بلد

أرض تأل فيها الظلم والتكبر  
ولصبح الناس في عيباء مظلمه

ما أدر ما حل بالأبطال من غور  
أموتت سمجرات الجود أم قضيت  
لا يدعون بدا عنهم ولو بلغت  
خافوا الله فاحتالوا وما علموا  
قسم بهم الإنسان خالقه  
عيباء حتى انقضى أمنا بلذ به  
فما لكم لا تعاف الضيم أنفسكم  
ونك مصر التي أنشئ الجلال بها  
سوم أروا عيباء الحق وامسكوا  
جنوا تار العلى الأبيض وامسكوا  
فأصبح مصر ترهب مصر كسديها  
البيت الأرض إلا بعد ما اختبرت  
سومها بها مخاره أفتت بروعتها

حتى إذا أصبحت في معتل أشب  
أخنى الزمان على لسانها ففتت  
فما عاد جليتم بالخمير على  
إن لم يكن للفنى عقل يعلى به

وادروا الأمر قبل الفوت واترخوا  
واللوا أمرهم سيما أفعالهم  
ماضى البصيرة غلاب إذا التبت  
إن قال يروا نسادته متعصر  
جلو البصيرة باللفظ التوجيز إذا  
ولا تلعبوا إذا ما رأى لاح لكم  
وه يدرك المراء بالسيدير ما عجزت

صواعق الغدر بين السهل والجبل  
لم يحظ فيها امرؤ إلا على زلل

بعد التراس وبالأساف من فتل  
غدر الحمية حتى ليس من رجل  
من الغفلة من جبر ومن خذل  
أن المنية لا تترك بالخيال  
وكي نفس لها فيد من الأجل  
ما لم يخلص نحوه جراً من الوغل  
ولا تزول غواشيك من الكسل  
نصف أسلافكم في الأعصر الأول  
أزمة الخلق من حاف ومتعجل  
من بين شوك العوالى زهرة الأمل  
لى بالغ من أساليب الندى خضل  
أظفارها بدم الأعتاق والقتل  
أنسا يؤلف من الذنب والجمل

يرد عنها يد العاذى من الملل  
من بعد سعي مطروقة السبل  
ما شاده السيف من فجر على وحل  
فانما هو معدود من الضلل

شكالة البيت بالدنيا مع التعجل  
يكون ردعا لكم في الحادث الجلل  
مسالك الراى عيباء البار بالجلل  
لسي وإن عم لم يرجع بلا فتل  
عر الخطاب وطاقت أسهم الجدل  
إن الحاجة مدعاة إلى الفشل  
عنه الكمد ولم يعمل على بطل



عبيات ما النصر في حده الأسنة بل  
وطالبوا بحقوق أصبحت عرضاً  
ولا تحالفوا نكلاً فيه منشوكم  
عيش الفتى في فناء الذل منقبة  
لا تمر كوا الجسد أو يدو اليقين لكم  
طوراً عراكاً وأحياناً سيرة  
حتى تعود ساء الأمن ضاحكة

هذه نصيحة من لا يتنى بدلاً  
أسرت جفني لكم في نظم قافية  
كأبرو في عجل والرعدة في رجل  
غراء تعلقتها الأسماء من ضرب  
حولية صاغها فكر أقر له  
تلوح أيباتها شطرين في نسق  
إن أخضقت جعدة الأشعار ألفها  
تفنى النفوس وبقي وعي ناضره

هذا وقد زالت عن مصر نعمة الحكم التركي وصار العاملون في حكومتها من أبنائها  
وفيش الله لها من الفرنسيين والانجليز من ساس النيل حتى ضمه وأمنت البلاد شر طغيانه  
وتقصيره كما قبض لها من هؤلاء وغيرهم من الغربيين من كفوها الكثير من شر الأوبئة  
والأمراض المتوطنة ومن أخذوا ماليها من الأفلاس حتى لم يكد يبقى عليها إلا البروتين .  
فهل شكرنا النعمة وأدى كل واجب فيها تبط به من عمل . لا أقول . كأننا لا نزال نحن  
إلى أماليب السادة الأتراك والشراكسة : نفخة كذاب وإسراف في المظاهر الخالية  
وبعد عن الحقائق واشتغال كل امرئ بنفسه لا يزال عا ثفاً عليها بعدد ورتكب  
الشتاعات في جبل توفير مطالبها حتى صارت نفوس الصغيرة آثماً الخطيرة .  
فهل من سبيل إلى أن يسمو كل منا بنفسه فوق مطالب نفسه فيخرج من سجن  
المنفعة الخاصة إلى قضاء القيام بالواجب في الخدمة العامة ؟ إن فعلنا خير الله ما بنا وأنتم  
تعمته علينا .





## البيت السبكي

رأيت أن أتبع هذا البيت وأجمع أتبع ما استطعت جمعه من أفراد المشهور منهم وغير المشهور الرجال منهم والنساء . وكنت أرجو أن يصل البحث إلى من يكون الآن من ذريتهم . لكن السلسلة انقطعت في المصادر التي وقفت إليها ومع هذا فقد وقفت إلى مجموعة لا بأس بها تراها في الشجرة التي صدرت بها هذا البحث .

جد السبكية علي بن تمام ولا أعرف عنه غير اسمه وأمه جد السبكية . لكن ابن حبيب ذكر في غير موضع من كتابه أن علي بن تمام كان قاضياً وبقية بضياء الدين ويكنيه أبي الحسن<sup>(١)</sup> وقد انفرد ابن حبيب بهذه المعلومات عن علي بن تمام وتبعه فيها الأستاذ مؤخر من .

هذا ما لا يمكن القطع به لكن أنهم آل هذا البيت المعروفة بآبائهم علي بن تمام<sup>(٢)</sup> المتوفي سنة ٧٠٥ هـ ( ١٣٢٥ م ) في السلطنة الثالثة للناصر محمد بن علاون وأخوه عبد الكافي<sup>(٣)</sup> ورجح أنه ولد حوالي سنة ٦٥٥ هـ ( ١٢٦١ م ) أي في سلطنة بيبرس الأندلسي . وآخر من عرفنا تاريخ مولده منهم علي بن محمد بن علي بن محمد بن مالك ابن أنس بن عبد الملك بن علي بن تمام . وكان مولده سنة ٨٤٧ هـ ( ١٤٤٣ م ) فإذا قدرنا أنه عاش إلى سنة ٩٥٠ م كانت وفاته قبل انتهاء دولة المماليك النراكسة في سنة ٩١٧ م . فعصر هذا البيت هو عصر دولتي المماليك .

(١) دولة الأسلاك في دولة الأتراك تأليف الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب (مصور شبي  
بدار الكتب المصرية تاريخ ٦١٧٠ ج ١) انظر وفاته سنة ٨٧٢ هـ ج ٢ ص ٢٤٠ والصفحات ٢٨٩، ٢٣٥ .

٢٨٨، ٣٩١ و ج ٢ صفحة ٤٣٢ و ص ٤٦٠

(٢) صدر الدين أبو زكريا

(٣) زين الدين أبو محمد .

وتم سبكي أقدم من ذكرنا هو عمر بن عبد الله بن صالح<sup>(١)</sup> (٥٨٥ - ٦٦٩ هـ - ١١٨٩ - ١٢٧٠ م) الذي ولى قضاء المالكية بالديار المصرية سنة ٦٦٣ هـ لما استقر الحال في الألباء القاهرية ببرس البنقداري على جعل القضاء أربعة بدل قاضي واحد من الشافعية<sup>(٢)</sup>.

كان عمر هذا قد تفقه بمصر وولى الحسية بالقاهرة ثم الحكم ودرس بالصالحية<sup>(٣)</sup> وأنهى وحدث وكان أحد الشافعية المشهورين بالدين والخير والنضل.

لكن ليس لدينا ما يقطع بأنه من البيت السبكي المشهور فكل ما لدينا عن صلته بهذا البيت ما قاله الزبيدي بعد أن ذكر عدداً من السبكية: ومن عشرتهم قاضي القضاء شرف الدين عبد الله بن صالح السبكي المالكي. ١ (٤)

المشهور أن السبكية فرعان: فرع يعنى بن على بن تمام وفرع عبد الخالق بن على بن تمام لكن السخاوي يكشف لنا عن فرع ثالث هو فرع عبد الملك بن على ابن تمام<sup>(٥)</sup>. ولعبد الخالق بن العماد الحنظلي<sup>(٦)</sup> ما يحتل معه أن يكون لعبد الملك هذا فرعان فرع ابنه أنس وفرع ابنه على لكن ساروا ابن العماد غير قاطعه قائلة ولك عند عبد الملك ما ذكرنا يدل على أنه ابن على بن تمام فالظاهر أن يكون على هذا من السبكية فقد تزوج ابنه أو حفيده من السبكية ومن أبنائه شرف الدين أبو الخطاب محمد سبط الشافعي السبكي<sup>(٧)</sup> أخواله.

ولما نرى كثرة عن كل من طبعهم شجرة البيت السبكي:

(١) صحيح الأعتى ج ١ ص ٣٥ وروى الأمر عن قضاء مصر لابن حجر العسقلاني وهو يخالف صحيح الأعتى في التفصيلات الصحيح الأعتى يقول إنه شهاب الدين أبو حفص وروى الأمر يقول إنه شرف الدين السبكي ويسميه عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى.

(٢) صحيح الأعتى ج ١ ص ٣٥

(٣) نسبة إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل وكانت تخط بين القصرين وكان موضعها من حارة قصر الفاطميين الكبير اليوم في «خطوط أنكر بزي - المدارس».

(٤) تاج العروس مادة سبكي

(٥) الضوء الزاهي لأهل الفرق الشافعية تأليف محمد بن عبد الرحمن السخاوي ج ٨ ص ٢٠٧ العدد ٥٤.

(٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٦ ص ٣٦٢

(٧) الشذرات ج ٦ ص ٣٦٢.



عبد الكافي بن علي بن تمام (١)

توفي سنة ٥٧٥ هـ = ١١٨٠ م

قد يكون مولده سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٠ م لكن المطلق لأربع وفاته وهو سنة ٥٧٥ هـ (٢٣٥٠ م) في السلطنة الثالثة لناصر محمد بن قلاوون. وزوجته تاحرية السبكيات ابراهيم بن حسين (٢) وهي أم تقي الدين السبكي وجدة تاج الدين وه تعلق بعدد وفاة زوجها طويلاً فلما مات بعد وفاته بأربعين يوماً.

ولي عبد الكافي قضاء الشرقية وقضاء الغربية وكانت وفاته بالخلعة وفيها دفن وحضر دفنه حميد تاج الدين وقد ترجم له في طبقات الشافعية ولم يذكر شيئاً عن المعاهد التي تلقى فيها هذه العلوم الدينية. وهذا كما قدسنا ليس بغريب؛ فالمأثور عند مؤرخي ذلك العصر إغفالهم ذكر المعاهد التي نشأ فيها من خرجون هم من إقامتهم في ذكر مشايخهم. وهذه الطريقة ما يجرها فلامبره بالأساذ ومبته وهو الذي كان بعضي الطلبة الأجازات بالنبيا والتدريس (٣) وإن كنا لا نذكر أن لتسعيد وتقاليد أروا في تكوير الطلبة. والظاهر أن عبد الكافي مع شهرته في القضاء (٤) كان من طراز العلماء التقديريين؛ من صالحاً كثيراً الذي له نظر كثير جند زهد وصلاح في النبي ونظمه هو المأثور في ذلك العصر وفي مثل هذه الطليقة من العلماء؛ فهو أهم حتى لا أرى لتسعيد فيه وقد يكتفي في الدلالة على تضمه الآيات الآتية وكثيراً ما كان يشدها:

يا أيها الغرور بالله  
أر من الله إلى الله  
والله واسأله من فضله  
لقد نجنا من لاذ بالله

(١) زين الدين أبو محمد

(٢) الدور ج ٤ من ٥٨٥ العدد ١٠٦٠ والطبقات الكبرى ج ٦ ص ١٥٣

(٣) حرك المادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم فأنشأ التدريس أو يأذن له شيخه في أن يفتي ويدرس ويكتب له بذلك (منهج الأعمى ج ١٥ ص ٣٣٢) وكانت هذه طريقة الأزهري وفي مسيح الأغنى صورة الجازة بالفتيا والتدريس على مدبر الشافعي كانت مؤامره التلقين كافيته وصفه مؤلف الكتاب التي كانت تستعمل في المدارس هذا المراد.

والتلقين تدعى توفي سنة ٨٢٦ هـ (١٤١٨ م) في سلطنة المؤيد شريح

(٤) الذهبي يقول عنه: القاضى الكبير زين الدين

السبكي

وتم له والميل في جنحه  
لكنس بها نوراً من الله  
وعلم النجدة له ساجداً  
لعمز وعبد ذل لله

ويروي ابن الجواد الحنبلي في الشهادة أنه كان لزين الدين عبد الكافي مولى عرف  
باسم مفتاح الزين السبكي توفي سنة ١٢٤٥ هـ تلقى العلم من أولاد السبكي ومن زعم  
بنت الكحل وغيرها وحدث ذلك في السن السبكي يركن إليه وكنيته فافذ عند.

علي بن عبد الكافي (١)

( ٦٨٣ - ٤٧٥ هـ = ١٢٨٤ - ١٣٥٥ م )

ولد في سلطنة المصور سنة ٦٨٣ هـ في السلطنة الثالثة للقاهر حسين  
بن محمد بن علاون فاعصر من سلاطين المماليك البحرية :

المصور علاون

الأشرف خليل بن علاون

القاهر محمد بن علاون ( السلطنة الأولى )

العدل سيف

المصور لأجين

القاهر محمد بن علاون ( السلطنة الثانية )

نظير بيبرس الجاشنكير

القاهر محمد بن علاون ( السلطنة الثالثة )

المصور أبو بكر بن محمد بن علاون

الأشرف كجك بن محمد بن علاون

القاهر أحمد بن محمد بن علاون

الصالح اسماعيل بن محمد بن علاون

الكحل شعبان بن محمد بن علاون

(١) شيخ الإسلام في الدين أبو الحسن .



الظفر حاجي بن محمد بن قلاوون

القاصر حسن بن محمد بن قلاوون ( السلطنة الأولى )

الصالح صالح بن محمد بن قلاوون

القاصر حسن بن محمد بن قلاوون ( السلطنة الثانية )

في حسن المحاضرة جلال الدين السيوطي : « قال الصالح الصلبي الناس يقولون ما جاء  
بعد الغزالي مثله - مثل تقي الدين السبكي - وعندي أنهم يظلمونه بهذا وما هو عتدي  
إلا مثل صفوان الثوري ، وقال ابنه في الترتيب قال الشيخ شهاب الدين ابن القصب صاحب  
مختصر الكتايب وغيرها من المصنفات جلست بمكة بين طائفة من العلماء وقعدت نقول لو قدر  
الله تعالى بعد الأئمة الأربعة في هذا الزمان مجتهداً عارفاً بمذاهبهم أجمعين يأتى لنفسه مدحاً  
من الأربعة بعد اعتبار هذه المذاهب المختلفة كلها لازداجاً<sup>(١)</sup> الزمان به واتحاد الناس له فالتقى  
وأنا على أن هذه الرتبة لا تعدو الشيخ تقي الدين السبكي ولا ينهى لها سواء . ( ٢١ )  
في هذه العبارة وحدها ما يكفي لمعرفة المقام العظمى الذي كان لتي الدين في حياته  
وكان ما لدينا من شهادة من كتبوا عنه يؤيد هذا الاعتراف بقيمته العلية .

أوفي ترجمة له ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى وهي طويلة حوت كثيراً من  
التفصيلات التي تعين على تصويره . وهي تصوره علماً من أعلام الإسلام ذكاه وسعة علم  
ومحسناً ذا كرامات ومقتضياً زاهداً قليل الطعام غير معني بتلاسه ولا حائل بالناس وقاضياً  
حريصاً على العدل في أحكامه ولو أغضب أولى الأمر لزمها شديد التمسك بالأحكام الشرعية .  
وكان يصح أن يفتي في هذه الترجمة شيء من الغلو لولا أننا نرى صاحب الطبقات  
وهو ابن تاج الدين غير متهم في حكمه ولولا أن غير تاج الدين ممن كتبوا عن تقي الدين  
بذهبون في تقديره إلى ما ذهب إليه ابنه . فالسيوطي يعمد من الأئمة المجتهدين والذهبي  
يصنفه بقوله القاضي الأمام العلامة الفقيه المحدث الحافظ نجر العلماء . لأن صامداً نبأ  
خيراً ديناً بنواضعاً حسن السمت . من أوقية العلم . يدري الفقه ويقرره . وعلم الحديث  
وحروقه . والأصول ويقرها . والعربية ويحققها . ثم قرأ بالروايات على ابن الصالح وصنف  
التصانيف المثقنة . وقد بقي في زمانه النحوص إليه . بالتحقيق والفضل . ( ٢٢ )

( ١ ) في الأصل لازداج واضح تحريف . ( ٢١ ) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٧٧

( ٢ ) المعجم المختصر ( نقل عن الطبقات الكبرى )

و ابن حجر المحمدي يقول فيه : «ولد بأشرف القضاء بهمة وسرعة وعفة وديانة» (١١)  
والأستوى يقول في حقه : «كان - يعني تقي الدين - أنظر من رأيناه من أهل العلم  
ومن أجسمهم لعلوم وأحسنهم كلاماً في الأشياء الدقيقة وأجاسم عن ذلك وكان في غاية  
الانصاف والرجوع إلى الحق في المباحث ولو على نكاح اتحاد الطلبة موافقاً على وظائف  
العبادات مراعيّاً لأرباب الملوك محافظاً على توكيد الأيمان في وظائف آبائهم» (١٢) .  
وابن العماد الحنبلي يقول : «في سنة ٧٣٩ هـ قسم العلامة شيخ الإسلام تقي الدين  
السبكي على قضاء الشافعية بالشام وفرج الناس به» (١٣) .

لا نزاع في أن شيخ الإسلام تقي الدين السبكي هو أول من شاع حينه في العالم  
الإسلامي من علماء الشبكة ذاع في مصر والشام والعراق والحجاز . ولعل جنازته كانت  
من أقوى الدلائل على ما كان له من منزلة في نفوس الناس . لأنها كانت من قبيل جنازة  
أحد من حضرة .

عاش تقي الدين نحو ٧٠ سنة وكان إلى أن بلغ نحو ٦٠ سنة مستغنياً ليعلم تحصيلاً وتدريراً  
وإلياً ونظراً فيعلم الغاية . وطار اسمه مثلاً الأقطار وحقى على الدنيا ولم يكف بمصر من  
الأخصر (١٤) .

وفي التدريس في التصويف (١٥) وجامع الخاتم وجامع ابن خولون والكهانة (١٦)  
بمصر والمسروية بدمشق .

(١١) الدرر ج ٣ ص ٦٤

(١٢) الدرر ج ٤ ص ٧٠ .

(١٣) شذرات الذهب ج ٦ ص ١٢٠ .

(١٤) الطهطاوي ج ٦ .

١٥ التصويف : هذه المدرسة من داخل باب الأستان الكبير للتصويري بخط بين القصرين والقاهرة  
أنشأها من والده التي لهاها والمآستان المذكور فلاون ورتب بها دروساً أربعة ودروساً لطلاب ورتب  
بأقية دروساً لخدمته النبوي ودروساً لتدريس القرآن الكريم ومباعدة وكانت هذه التدريس لا يلبثها إلا أهل  
العلم . يعتبر من من إليه . كما قبل .

عبدالله بن تدريس كل من من	عبدالله بن تدريس كل من من
على الأعمال التي تشتملها	بيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدأ من هزها	كلامها وهي شاعها كل مجلس

١٦ الفريزي - المخطوط ج ٢ ص ٢٧٩ .

(١٧) الكهانة مدرسة مدرس الكهانة بمصر أو حارة الخاوية - الفريزي - المخطوط ج ٢ ص ٤١ .



وفي هذا الدور من حياة تقي الدين السبكي كان ابن تيمية (١) قد هز جمهور العلماء بأرائه وما ذهب إليه في مستقيين شرعيين هما الطلاق وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم . وكان من مخالفه في الرأي تقي الدين السبكي فرد عليه في مسألة الطلاق برسالتين الصغيره وهي رافع اللعان في مسئلة الطلاق والكبيرة وهي التحقيق في مسئلة التعذيب . ورد عليه في الزيارة برسالة شفاء السقام في زيارة خير الأنام أو شن القارء على من أنكر السفر لزيارة ولم يتركه ابن تيمية بطبيعة الحال بل رد عليه وضع ما ينشأ من خصومة قال فيه ابن تيمية لقد برز هذا على أقرانه . ١ هـ (٢)

وأعان تقي الدين على التبحر في العلم بيئة بينه وغداية أبيه وهو أول معلم له في صغره كالتأليف في ذلك العصر خاصة وقوة حافظته ومبره على العمل وتفرضه التام للتفصيل وانصرافه عن كل ما يعوق عنه فقد « كان من الاشتغال على جذاب عطف بحيث يستغرق غالب ليله وجسم نهاره . وكان يخرج من البيت لصلاة الصبح فيشتغل على المشايخ إلى أن يعود قريب الظهر فيجد أهل البيت قد عملوا له فوجاً فأكل ويعود إلى الاشتغال إلى المغرب فبأكل شيئاً حلواً لظناً ثم يشتغل بالليل وهكذا لا يعرف غير ذلك (٣) » .

لم يترك نوعاً من العلوم الدينية إلا غنى بتخصيله وبرز فيه ؛ فلهذا فقد تحدث مفسر مغربي قرأ بالروايات على ابن الصائغ أسبولى نقوى لغوى أدبى منقلى جدلى صوفى لطفه على شافعى (الزمان نجم الدين بن الرفعة وأخذ سائر العلوم عن كبار شيوخ العصر بالقاهرة . ومن سمع منهم شهادة (٤) بنت الصاحب كمال الدين عمر بن العديم ولم يقتصر على مشايخ القاهرة بل رحل إلى الاسكندرية لسمع من علمائها وصاحب في التصوف تاج الدين ابن عطاء الله ورحل إلى دمشق حيث سمع من كثير من علمائها .

وأما الدور الثانى من حياته فدور القضاء وقد قاسى فيه ولكن الأمر لم يصل إلى المحاكم ولا إلى السجن ولا إلى العزل كما كان الحال مع أئمة تاج الدين .

(١) تقي الدين أحمد بن تيمية .

(٢) الطبقات الكبرى ج ٦ . ويقول تاج الدين : « هذا الرد لا من تيمية لم ينف عنه ولكن سمع »  
والأوقف منه على مجلد ١ هـ .

(٣) الطبقات الكبرى ج ٦

(٤) شهادة ولدت سنة ٦١٧ هـ وقيل ٦٢١ هـ وجدت من الكاشغرى وأجاز لها ثابت بن مشرف وصحت أيضاً من غيرها وكانت قد تزوجت وتزكت اللباس القاهر به وطفه أخيه . ماتت في حلة سنة ٧٠٩ هـ .  
« الدرر » ج ١٢ ص ١٩٥ العدد ١٩٤٦ .

واع عليه الاختيار سنة ١٣٧٠ هـ ليكون ماضي قضاء الشام وقد مر تفصيل ذلك فيما رواه ابنه في المطبوعات .

وولى بدمشق مع القضاء خطابة الجامع الأموي وولى مشيخة دار الحديث الأشراف ثم تدرّس الشريعة الأبراهيمية في أوائل سنة ١٣٧٠ هـ والتدريس بالسرورية .  
وقد حفظ لنا القشندلي صورة القرار الصادر بأستاذ الخطابة بالجامع الأموي إلى تقي الدين قال :

وهذه نسخة توقيع بخطبته بالجامع الأموي كتب به لفضاضة تقي الدين السبكي :

الحمد لله الذي جعل درجات العناء آخذة في مزيج الرقي . وحسن برفع الدرجات من الأئمة الأعلام كل تقي . وألقى مقاليد الأمانة لمن يصلح نفسه بنفسه بانورج وبقى . وأعاد إلى معارج الجلال من لا يزال بخمار حميد أخلال وينتقى . وأبدل جباب السؤدد على من تله القسوة والصلوات من قلبه وتوابع كل طاهر تقي .

محمده عني أن لملي علم السرخ الشريف وأقامه . وجعل كبد القوى باقية في أهل العلم إلى يوم القيامة . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عدل قبل الفضيل بالشكر وأدامه . وآية المعصية بمراد الحمد فلا تحروا أن جمع بين الأمانة والزمانة . ونشهد أن هذا محمد ورسوله الذي أغلى الله به عقيرة مبرك الأذان وسدج الافاق . وأغلى ببر كنهه قيمة من تمسك بسبيل الهدى ولازم طريق الاستقامة . صلى الله عليه وعلى آله الذين عقدوا عقود عدا الدين وحفظوا نظامه . وعلى أصحابه الذين ما منهم إلا من اتفدى بطريقه فاعتدى إلى طرق الحكامة . صلاة لا تزال بركاتها تؤيد عقد الشرف وتديم إمامه وسلم سلباً كثيراً .

أما بعد فإن من تيم دولتنا الشريف أن يرفع كل عالي المقادير مكاناً عالياً . وجعل له من اسمه وسنته قولا مسبوغاً وفعلها مرفوعاً . ونوطه له رتب العالي وتزيد قدره فيها رقباً . وسكوبهم من جباب السؤدد مطرفاً مباركة وحياً . ونطق لسان إمامه بالمواظع التي إذا تعطلت أوثر الأنياب خروا لطاعه وهم سجداً وبكياً .

ولما كان المجلس العالي هو الذي أمر أحكام الشريعة الشرعية وسادها . وأيدي من أنفاله الباركة المواظع الزمانية وأعادها . وأذاع فيها أشرار اليقين ورادها . وأصلح سادها ويوم منادها . وكيف لا وقد جمع من العلوم الشاناً . وأحصى من معالم انتهى رفاناً . وأوضح من منات العطاء العامين بيهديه وسنته عدياً وسماً .



فلذلك خرج الأمر الشريف الصاخي العماضي (١) . . . (٢) .  
وحفظ لنا الفقهني أيضاً الأمر الصادر بالسماح بتدريس المسروقية إلى تقي الدين  
السبكي وهو قاضي قضاء الشام قال :  
وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة للمسروقية يستحق من إنشاء الشيخ صلاح الدين  
الصفدي كتب به للشيخ تقي الدين السبكي بالمر الكرم وهي :  
الحمد لله الذي جعل تقي الدين علياً ، وأوجه فرداً في هذا الملا فكان بكل علم مدلاً ،  
وأظهر فضله الجليل فكان كالصباح جلياً .

نصده على لعمري التي تكاثرت فأخضت الخمام ، وتوفرت الألسنة على حمده فعملت  
أسجاعها الخمام ، وتأثرت بمواقفها الأحوال فأخضت زهر الحمايل في السكائم ، ولتنبه أن  
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شبهة تعكر ما سما من حجبها ، ولا ريبه يوغر  
ما تسهل من محجبها ، ولا ظلمة باطل تكدر ما أثار من حجبها ، ولتنبه أن سيدنا هذا عبده  
ورسوله الذي جمعت فيه بكرم الأخلاق ، وتفرد بمزايا منها أنه حبيب الخلاق ، وشارك  
الأنبياء في معجزاتهم وزاد عليهم بما أنبح له من خمس لم يحظوا غيره منهم على الإطلاق .  
على الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تفقهوا في الدين ، وحازوا الأجور لما جروا إلى جز الغلام  
من المحدثين ، وأنزلوا لما نازلوا أبطال الباطل والعتلين من المعتدين ، صلاة يفوح نسيم  
رياحها المتأرجح ، ويلوح وسيم مجيها للنسرج ، ما فرج العلماء ضائق الجدال في الدروس .  
وقيلت تغور الأفلام وجنات الطروس ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد فإن المدارس عمرها الله تعالى بالعلماء توافيقها شروط ، ولأهلها عزم أنزلها بالنجوم  
منوط ، يفوسون بحور البحوث في طلب الآلي ، وينشغون ظلال الظلام بالسري في حب  
المعالي ، سيما المدرسة المسروقية فإن وانفها أناته الله تعالى شرط في المدارس بها شروطاً تن  
من يثليها ، أو يتجلى بعقودها أو يحجبها ، وكان يفرقها قد غلى بناج تجوهر ، وسقطها قد ضم  
سنة فاضلا تمديدت به فواعد الذهب لما كهر ، فأعرض عنها ونقض به منها رغبة في الإقبال  
على شأنه ، واقطعاً إلى مالك الأمر وديانته ، بخلاف ربيعها من الأسد ، وكانت تكون طافلا  
بعد درسه ، وكان ( فلان ) أسبق الله ظلد قد وافق بعض ما فيه شرط الرافق ، وشهد  
بشعر علومه البادي والعاث ، وطاف بكعبة فوائده كل طائف ، ينصرف عنه بالطلائف .

١٠١ كان التوقيع المذكور في منطقة ذلك الصالح حماد الدين أحمد بن سلطان مصر من سنة ٧٤٣ هـ إلى  
سنة ٧٤٧ هـ .

أما التفسير فإنه فيه آية . وأما الحديث فإنه الرجعة في الرواية والدراية . وأما الأصول فإنه إزار بالرازي حتى احتج . وأما الفقه فهو شاء أسى في كل مسئلة منه مصنفاً . وأما الخلاف فقد وقع الاتفاق على أنه شيخ المذهب . وأما العربية والفارسية يعترف له فيها بالعرايب . إلى غير ذلك من العلوم التي هي من حصيل الفرايد . وله بالتدقيق فيها أتم عناية . وإذا كان أهل كل علم في المبادئ كان شوقه في الغاية .

المذاهب وحسب بالأمر العالي أملاء الله تعالى أن يفيض إنده ( كذا وكذا ) وضعاً على في عهده . وسعة تاريخ ولايته غيره أن ينفذ في غير مسئلة . فالآن أسسى انوائف مسروراً على الحقيقة . والآن جرى اختلاف فيها على أحسن طريقة . وهو أسقى الله تعالى ظله أجل خيراً من أن يذكر بشي من الوصايا . وأعظم ليدراً من أن يدل العينة على تكتها الخفايا . لأنه بركة الاسلام . وعناية الأعلام . وأوجد المجتهدين والسلام . والله تعالى يجمع المسلمين ببقائه . ويعلى درجات أوقاله . واحتط الكرم أملاء حصه في أبواب العمق بقتضاء إن شاء الله تعالى . (١١)

والجهد الشبه إلى توليد قضاء قضاء صغير وطلب فعلا إلى الظاهرة لكن الأمر في سنة يرجع إلى قضاء .

كان في الدين القاضي يحكم بما يراه حقاً لا يلقى أرضي رجال الدولة أم أسعولهم . يقول حاج الدين (١٢) حكم - يعني في الدين - غيره في واقعة جرت وصم فيها وعائده أرضون السكول نائب الشام وقد الأمر بصلحهم سماً ومصرأ الله فذكر القاضي صلاح الدين الصفدي أنه عبر إليه وقال بأسولاة قد قصدت ووليت ما عليك وهؤلاء ما يظنون الحق فلم تلقى نفسك إلى التهلكة وعائدهم تأمل - يعني في الدين - سماً ثم قال :

والله لا أؤضي غير الله . (١٣)

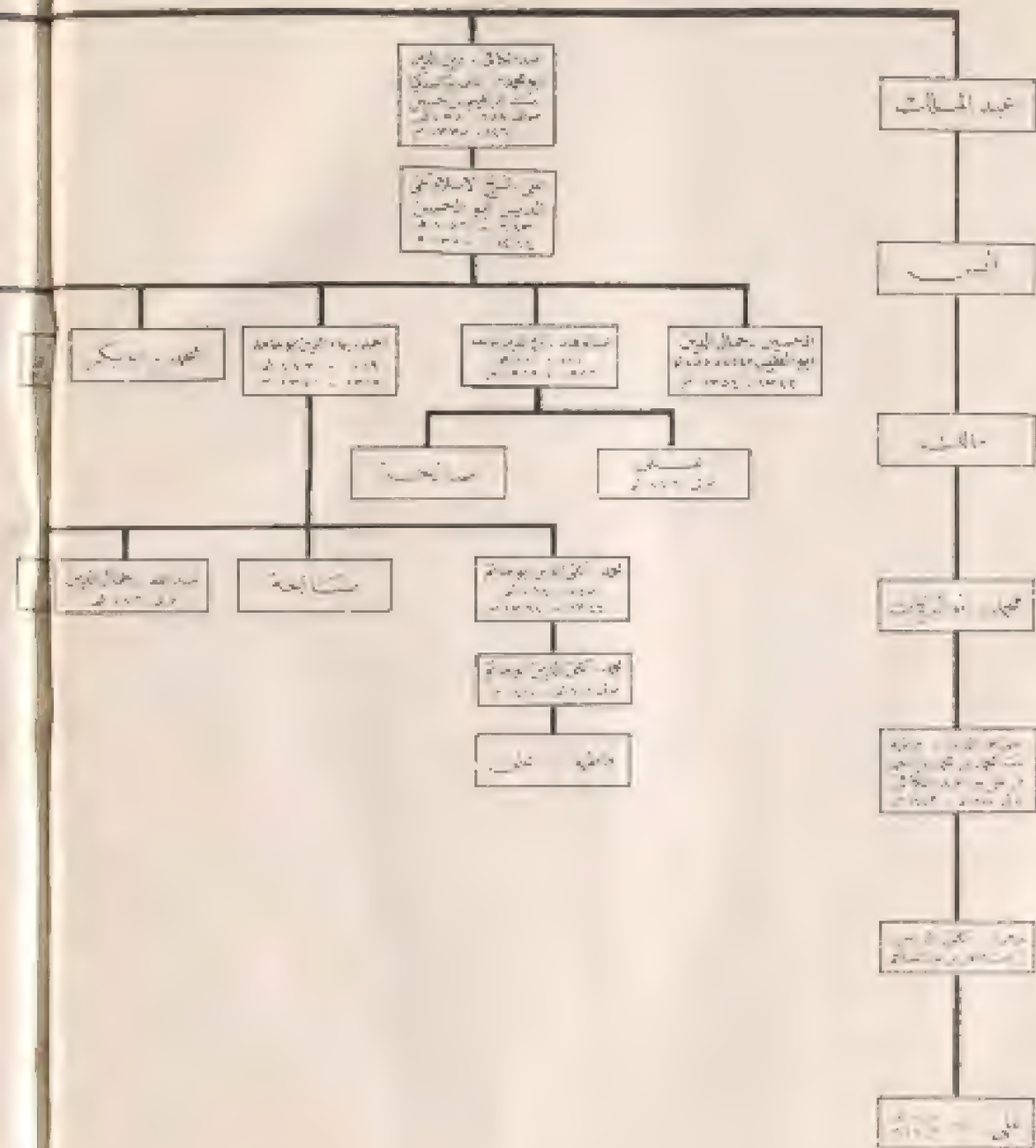
كان في الدين كثر الانحياز العلمي حتى زودوا أن له مائة وخمسين مصنفاً ولفظاً وأثرها طبيعة الحال في العلوم الشرعية والعربية لكن الذي يلفت النظر أن له مؤلفاً به يصحح أن أسسى التربية العقلية هو إحياء النقوش في صناعة إلقاء الدروس . ولا أعتد عليه

(١١) مسج الأنبي ج ١٢ ص ٣١٨

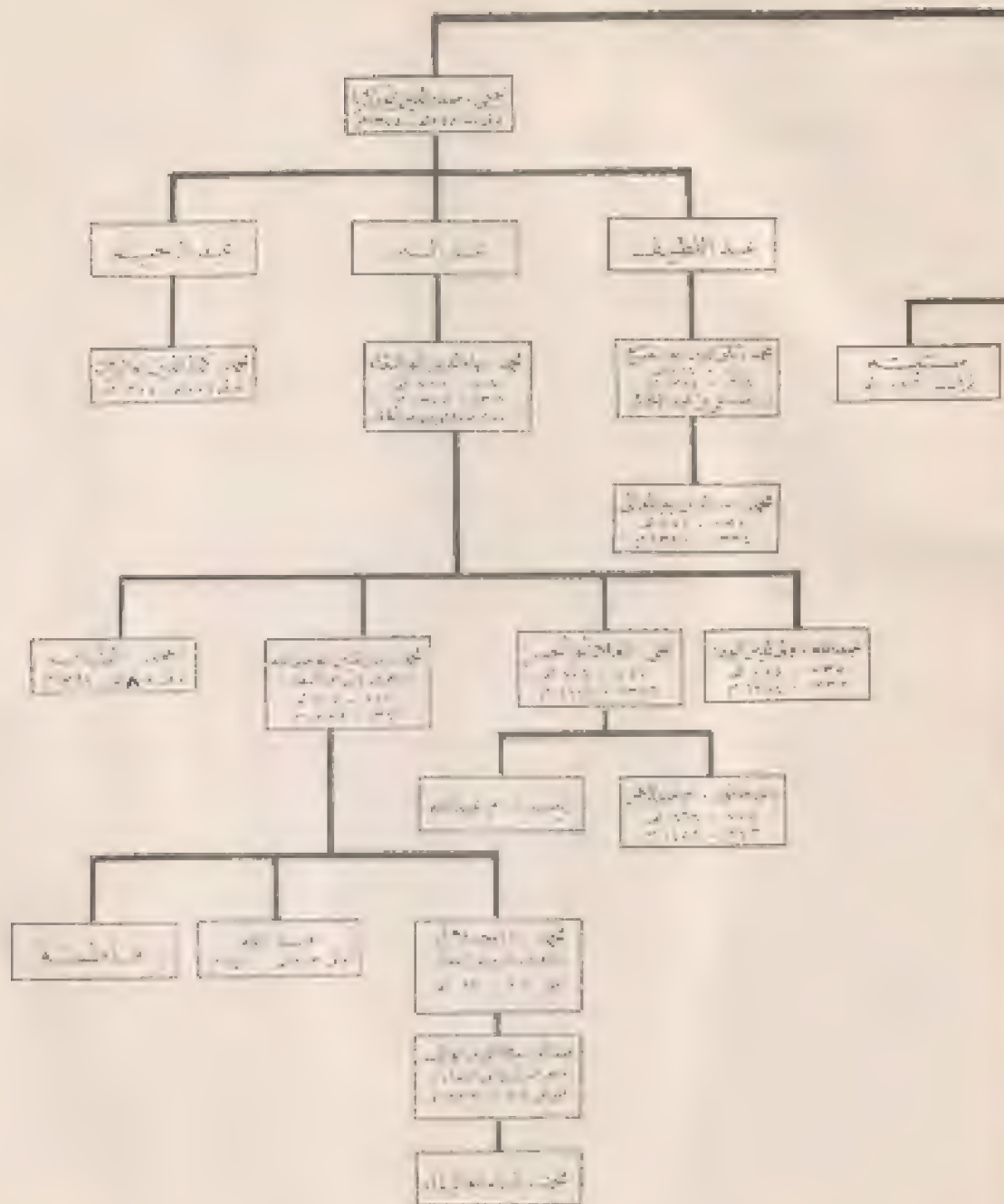
(١٢) الطحاوي ج ٦ ص ١٧٤











THE UNIVERSITY OF CHICAGO



لكن أحمد صريح في بيان موضوعه فكان تقي الدين وقد مارس التدريس طويلاً ما يفهم ما في الطرق النبعة في نفس الطلبة من نقص يجب تلافيه ، وقد كثر وضعه لهذا المؤلف ما أشار إليه تاج الدين في مقال الناس بعد الأربعين من « معبد النعم وسيد النعم » من واجب المدرس في إلقاء درسه قال : « وحق عليه - يعني المدرس - أن يحسن إلقاء الدرس وتفهمه للمدرسين ثم إن كانوا مبتدئين فلا يلقى عليهم إلا ما يناسبهم من المشكلات بل يدرهم ويأخذهم بالأهون فالأهون إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق وإن كانوا متبينين فلا يلقى عليهم إلا الواضحات بل يدخل بهم في مشكلات الفقه ويخوض بهم غياهب الزاخر . ١ هـ »

هذا كلام أساتذة لم يكتفوا بالتقليد في دروسهم بل انتفعوا من تمارسهم التدريس بتوخى الأساليب الصحيحة فيه ثم فيه الدليل على أن تقي الدين وتاج الدين رأيا في الأساليب النبعة تعهدا بالمعاهد الإسلامية أو المصرية إن شئت عوجاً يعطل الطالب ابتداءً . والأرجح أنهما لاحظا ما لاحظته بعدهما بقرون الشيخ محمد عبده من عظم الفائدة النبعة في الأزهر وغيره من المعاهد المصرية ولا سيما صدم المبتدئ بالمشكلات صدماً يؤسد من الشجاع وإذا لم يؤسد فهو يعطله زمناً طويلاً يضع عليه بغير جدوى .

الحق أن تقي الدين وتاج الدين إلى هذه الناحية في القرن الثامن الهجري دليل على ما كان للرجلين من مزايا البقطة والمنشطار المدة في مهنة التدريس ثم الابتكار والنسج في الإصلاح .

والظاهر أن تقي الدين كان من أشبه السنية خرجاً فقد روى لنا عنه تاج الدين ما يدل على ذلك قال (١) : لقد كان الشيخ الإمام - يعني أبيه تقي الدين - يتركه - يعني المكتشف الزمخشري - فلم انتهى إلى كلامه في قوله تعالى في سورة الشورى : « إنه لقول رسول كريم » الآية أعرض عنه صفحا وكتب ورثه حسنة بعبارة « سبب الانكشاف عن إقراء المكتشف » وقال فيها قد رأيت كلامه على قوله تعالى عفا الله عنه وكلامه في سورة التحرير في قوله (٢) وغير ذلك من الأما من التي أساء أدبه فيها على خير خلق الله تعالى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرضت عن إقراء كتابه حساء من النبي صلى الله عليه وسلم مع ما في كتابه من الفوائد والنكت البديعة ١ هـ . أقول مهمل بكن الرأي في المقارنة التي عندها الزمخشري بين مقام جبريل ومقام محمد صلى الله عليه وسلم وفي تصريح الزمخشري

(١) مقال ٤٦ - العبد - من أمثلة « معبد النعم وسيد النعم »

(٢) في بعض النسخ الزلزلة وهو تصحيف من النسخ .

بأن محرم ما أحل الله كان زلة من رسول الله فلا مبرر لتكف عن إلقاء الكشف إلا غلو  
السلبية في التشدد . لكنها طبيعة العصر خاصة حتى تاج الدين يذهب في الخيلة على  
الكشف - مع اعتزاله بمزاياه وبأن مؤلفه إمام في فقه - إلى عدم القول بوجوب كشف  
ما فيه من لا يقره السلبية ! ومع هذا فقد غلب إنصاف القاضي ، وختم تاج الدين حملته  
عنه على الكشف بقوله والقول عندنا فيه أنه لا ينبغي أن يسمح بالتفكر فيه إلا لمن صار  
على مناجاة الله لا توحذه شبهات القدرية ١٠١ . وثمنا بين إباحة قراءة هذا القيد وبين  
الكف عن قراءته أو القول بوجوب كشط كل ما فيه مما لا يقره أهل السنة .

وفيما يلي ما يقوله تاج الدين وصفاً لبعض أحوال تقي الدين (١) :

أما ما كانه وسيلته وسلافة الدنيوية فأمر يسير جداً لا ينظر إلى شيء من ذلك بل  
يجترأ بسير المأكل وتزوي اللبس . وأما عدم مبالاة بالناس فأمر غريب . ولقد شاهدته  
غمر مرة يخرج تلوطنه وعلمته التي ينالها إلى الطريق ورأيت مرة خرج كذلك ولا تلت  
اللوطة التي عليه وسعة منقطة .

راح يوماً إلى الجامع (٢) يوم خميس البخاري (٣) وجلس في أخريات الناس بحيث لم يشعر  
به أحد ، ثم كأنه عرضت له حلة فرام به وتوجه على عادته وصار واقفاً يديه قبل أن  
يسرعوا في الدعاء بنحو ساعة إسرائيلية أو أزيد ، ثم استمر كذلك إلى أن فرغ وصارت العوام  
يرودنه ويعجبون من لونه وحاله ويحيث على تلك الصورة . وما تم المجلس إلا وقد حضر  
النسب والغلمان فقام وحضر إلى البيت وهم بين يديه كأنه بينهم غلام واحد منهم وعنه  
من النهاية مالا يعبر عنه .

ولدت مع ذلك أراء أيام التواكب السلطانية بلبس القبطان موثقاً عنه فكنت  
أحجب وسأله لئلا يكون رده يا بني هذا شعار الشافعية ولا تريد أن تنسب . ١٠٢

هذا ويخيل إلينا أن تقي الدين كان مع كل مزاياه جد حريص على أن يلبس أبنائه مناصب  
الدروس والفضاء فلم يفهم أنه أدرك ما في أبنائه من مزايا تؤهلهم لهذه المناصب وأن عاطفته  
الأيوة كانت فيه قوية . لكن جمعه بين الزهد وبين الحرص على أن يلبس أبنائه المناصب  
أمر يحتاج إلى شيء من التأمل في أخلاق هذا الزمان الفحل فانا نراه ما ولي قضاء الشام  
سعى حتى يظلمه في وثائقه بتصر ابنة أحمد وكانت وظائف الدرس في جهات كثيرة

(١) الطفاط الكبري : ٦٠

(٢) الأمل في دمشق .

(٣) كانت حلة مبروة في مصر أيضاً .



ونواه لم يهدأ في أواخر أيامه ولم يتزل عن قضاء الشام بكم الشخوخة والضعف حتى ولى  
ابنه تاج الدين قضاء الشام بعده .

بعد أن اطمأن على تاج الدين في منصب قاضي قضاء الشام رجع إلى مصر ضعيفاً  
وأقام بيته على النيل في جزيرة الفيل (١) ولم يعيش بعد ذلك إلا قليلاً .

(١) جزيرة الفيل هي الأرض الواقعة بين محطة القاهرة وشبرا وهي من جهة المقام التي كان النيل يمر فيها  
ثم صارت جزراً نتيجة تحول مجرى النيل إلى الغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بعد الميلاد .  
وقد قرى في الخطط كلمة في تاريخ هذه الجزيرة آتت نقلها عن ما فيها من معلومات تاريخية طريفة قال:  
هذه الجزيرة هي الآن بلد كبير خارج باب البحر من القاهرة وتسمى بنية الشرح من بحريتها وهي من النيل  
من غربها وبها جامع عظيم به الجمعة وسوق كبير وعدة بساتين جميلة وموضعها كله تحت كنان غامراً بالماء في  
الدولة الفاطمية فلما كان بعد ذلك انكسر مركز كبير كان يعرف بالفيل ورك في مكانه من أعليه الرمي وانظره  
عنه لما وصارت جزيرة فلما بين البنية وأرض الطيلة سماها للناس جزيرة الفيل وصار الماء يمر من جوانبها فمر بها  
تجاه مصر الغرب وشرقها تجاه البحر والماء فيها بينها وبين النيل الذي هو الآن قناة قناة الأزمان الماء  
كان يمر ففقد من تحت جزيرة جامع المنس الموجود الآن على الخليج الناصري ومن جامع المنس على أرض  
الطيلة إلى غرب النيل حتى يمتد من تجاه التاج إلى البنية وصارت هذه الجزيرة في وسط النيل وما برحت  
تقع إلى أن زرعت في أيام تلك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فوقفها على المدرسة التي أنشأها بالقرافة  
بحوار قبر الشافعي رضي الله عنه وكثرت أحيائها بالحمام والنيل فمن في كل سنة فلما كان في أيام الملك المنصور  
قلاوون الألفي تقرب منه الدين أبو الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد الحسين بن الحشاش المتحدث في  
الأحياس إلى الأمير علم الدين شجر الشجاع بأن في أحيائها هذه جزيرة زائدة على ما وقفه صلاح الدين  
فأمر بقياس ما تحدها من الرمال وجعلها جهة الوقف الصالح وأقطع الأطباء القديمة التي كانت في  
الوقف وجعلها هي التي زادت على الملك المنصور قلاوون من المأوى المتصور وقف بقية الجزيرة  
عبد مرس الناس بها القروس وصارت بساتين وسكن الناس من قرار بين هناك فكانت أمة الملك الناصر  
محمد بن قلاوون بعد عودته إلى قلعة الجبل من الشراك والحبس النيل من جانب المنس الغربي وصار ما هناك  
رمالاً متصلة من بحريتها بجزيرة الفيل المذكورة ومن قبلها بأراضي القوس افتتح الناس باب العبارة القاهرة  
ومصر فعمروا في تلك الرمال الموضع التي تعرف اليوم ببولاق خارج المنس وأنشأوا بجزيرة الفيل البساتين  
والمتصور واستجد ابن المعري الطبيب مستأجراً من الفاضل كرم الدين ناصر الجاني الأمير سيف الدين  
عشتمر الساق بنحو المائة ألف درهم مدة عشرين عاماً خسة آلاف مقال ذهباً وتاج الناس في إنشائها  
البساتين حتى لم يبق بها مكان يبرح حرارة وحكم ما كان منها وقفاً على المدرسة المجاورة للشافعي رضي الله عنه  
وما كان منها من وقف المأوى وغرس ذلك كله بساتين فصارت تليق على مائة وخمسة بساتين إلى سنة  
وفاة الناصر محمد بن قلاوون ونصب فيها سوق كبير يباع فيه أكل كثير من أهل مصر وأهل الناس بها  
عدة دور وبعضها مبيت قرية كبيرة وما زالت في زيادة ونمو ما أنشأ قاضي القضاء خلال الدين القروي في رعيه  
الله الدار المجاورة لبيت الأمير ركن الدين بمرس الحاجب على النيل فجاءت في غاية من الحسن فلا يزال من  
قضاء القضاء وسار إلى دمشق اشتراها الأمير بثمان مائة ألف درهم وجرها وأخذ منها رماناً وشبابيك  
وأبواباً ثم باع باقي نفقاتها بمائة ألف درهم مرجع الباعة في ذلك شيئاً كثيراً أو يودي على زرعها لحسرت .

مات لرجل لونه القاهرة وأزدهم المشعرون حتى ملأوا ما بين يمينه والمدين بباب النصر  
وهي مسافة لا يستهان بها .  
وقد كثرت مراثيه .  
رثاه شاعر انوفت ابن نباته بقصيدة مطلعها :  
نعاء لفضل والعلواء والنسب ناعية للأرض والأفلاك والذهب  
ورثاه صلاح الدين خليل بن أبيب النعماني بقصيدة مطلعها :  
أنى طود من الشريعة مالا زغزغت ركسلة اللون فوالا  
وبأخرى مطلعها :  
أعكنا جبل الإسلام نهدهم وعكنا جنة السؤل نعلم

أحمد بن علي بن عبد الكافي (١)

١١٩١ - ١٢٠٧ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١

ولد في السلطنة الثالثة للناصر محمد بن قلاوون وتولى في سلطنة الأشرف زين الدين  
أبي العالي شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون فعاصر من السلاطين :

الناصر محمد بن قلاوون ( السلطنة الثالثة )  
الناصر أبو بكر  
الأشرف كجك  
الناصر أحمد

ومر عليها الناس عدة أملاك وأعدت الغزاة الأملاك من هذه الزرية إلى منة الشويح تمخرت شبة بعد  
تحت . وفي ما على هذه الزرية من الأملاك وهي تعرف اليوم بدار الطنبدى الناصر . وأما إسماين الخوذة  
فلم تكن خيراً من محال الدنيا من حسن المنظر وكثرة المتجمل إلى أن حدثت المجن من سنة ٨٠٦ فبلاست  
وخرّب كثير من الملو العلوات من القول والتين وشدة ظر الدولة وتعدّل معظم سوقها ومنها إلى الآن بقية  
ساحلة .

(١) بها. الدين أبو محمد



الصالح السبعيل

الحاملي شعيان

المنظفر حاجي

الناصر حسن ( السلطنة الأولى )

الصالح صالح

الناصر حسن ( السلطنة الثانية )

المنصور محمد بن حاجي

الأشرف شعبان

نقل العلم عن أبيه وغيره من مشايخ مصر والشام واشغله بالتدريس والتأليف وإن  
من الشهود ثم بالعلم قول فيه الذهبي : « الإمام العلامة المدرس له فضائل وعلم جيد وفيد  
أدب وتقوى . وساد وعو ابن عشرين سنة وأسرع إليه النسيب وكان أدبياً قاضياً متعبداً  
كثير الصدقة والخلق والمجاورة سريع الدفعة وكانت له اليد الطولى في علوم اللسان العربي  
والعاني والبيان<sup>(١)</sup> ، ويقول فيه ابن خبيب : « إمام علم زاخر اليه . مقرون بالوفاء الخيم ،  
وفضله مبدول لمن قصد وأم ، وقلم كرم باب عدل فتح ، وكلم شغل معروف منح . »<sup>(٢)</sup>  
ولما وفي أبوه قضاء الشام أسند إليه بعض أئمة درس الفقه والمعاد بجامع ابن طولون  
والمعاد بجامع الظاهر والتدريس بالسيف<sup>(٣)</sup> والكهارية ودرس بخانقاه شيوخ<sup>(٤)</sup> أول  
ما فتحت .

(١) الدور ج ١ ص ٢١١ والفتاوى ج ١ ص ٢٢١

(٢) الفتاوى ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٣) نسبة إلى سيف الاسلام ظهر الدين طمكتي وهو أبو صلاح الدين الأيوبي

(٤) خطط المقرري - المدارس .

(٥) هذه الخانات في خط الصليبية بحماه جمع شيخوا أسأها الأمير سيف الدين شيخو العمري في سنة ٧٥٦  
محرمة وكانت مساحة أرضها زيادة على فدان فأنشأ فيها الخانات وحمامين وعدة حوانيت يعلوها بيوت السبكي  
ورتب بها دروساً عدة منها أربعة دروس للفتاوى الأربعة ودرس للحديث ودرس لأفراء القرآن بالسبع  
وشرط على الطلبة حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف وقرر في تدريس الشافعية الشيخ بهاء الدين أحمد  
ابن علي السبكي ورتب لكل من الطلبة في اليوم الطعام والتمر والخزوق الشهر الحفوي والزيت والصاوير .  
وفي عهد الأمير فرج أخذت أحوالها تتناقص حتى صارت المربيات تتأخر عدة أشهر وبقيت في حالة تدهور .

(٦) خطط المقرري ج ٢ ص ٤٢١ .

ومن المناصب التي أسندت إليه إفتاء دار العدل<sup>(١)</sup> سنة ١٠٧٢ هـ (١٦٦٠ م) وقضاء العسكر  
وقضاء السام يمل أخيه تاج الدين لما عزل سنة ١٠٧٢ هـ وخطابة جامع ابن طولون .  
ولم يكن مجهوده مقتصراً على الناحية العلمية بل كان حريصاً على الدنيا لهذا أكثر سعياً  
في الحصول على الوظائف فكثرت وظائفه وكثر ماله وكان لا يحل من السعي ولا يضمن  
بالمال في سبيل الوصول إلى الوظائف التي تعود عليه بالفائدة المادية . ولذا قبل فيه أنه  
لا يحاول أن يتركها إلا ويحصل إليه<sup>(٢)</sup> وحارب له دوية عظمه في السعي حتى سلب أفراده وبلغ  
من حرصه في هذا الباب أن أوصى قبل موته بوظائفه لأولاده وأولاد أخيه ونسب بخطه  
إلى ناظر الجيش يسأل منه المساعدة في ذلك<sup>(٣)</sup> . سكن وصيه لم تنفذ ووزعت الوظائف  
على من كانوا يتطلعون إليها ويحول بينهم وبينها جاء بهاء الدين وسعيه .

لا أثنى هذا الخلق خلق الخرس من المناصب والسعي إليها إلا حاملاً صاحبها على  
التقرب من ذوي النفوذ واتخاذ الخرس تلقفهم . ولدنا مثال من حرص بهاء الدين أبي حامد  
في هذه الناحية وهنا نذكر قبل عبارة القريري<sup>(٤)</sup> :

كان السلطان ( حسن ) قد عزم على أن يبنى أربع منائر ( مدرسته ) يؤذن عليها فحدث  
ثلاث منائر إلى أن كان يوم السبت . . . ربيع الآخر سنة ٧٦٣ فسقطت المنارة التي على  
الباب فحدث فيها نحو . . . نفس من الأبنام الذين كانوا قد رتبوا بمكتب السبيل الذي  
هناك . ومن غير الأبنام . . . وسلم من الأبنام ستة أطفال فأبطل السلطان بناء هذه المنارة  
وبناء نظيرتها وتأخر هناك منارتان هما دائمتان إلى اليوم ونا سقطت المنارة المذكورة فحدث

(١) : دار العدل موضع القلعة كان أشبه بقر محكمة نظار في مسائل العسكر . ناهي الظاهر بيبس  
المدفون سنة ٦٦١ هـ و قد يجلس بها لمرس العسكر والنظر في مقالهم وما رجت دار العدل هذه بقعة  
بل أن من المنصور غلامون الأيوبي بالقصة فمهرت دار العدل وسائر الأيوبي هو دار العدل وقد عده  
أبيه الأقرب خليل واستمر مجلس نائب دار العدل به ثم عده الأخير محمد بن علاون وأعاد بناءه وأعاد  
به مرة أخرى وأقام به محمد عظيمه وكان مجلس فيه يوم الاثنين والخمس وعنده أمر الدولة والقضاء  
والوزر . كانت السور ونظر الجيش ونظر الخراسان والكتاب الحسن واستمر الحال على ذلك إلى أن كانت  
ساعة الظاهر برقوق فأقن من المجلس فيه وكان ينظر في قبل من الشكاوى لا شيء سوى إقامة رسوم  
المسلكه فحدث كما يقول القريري . أم النظر في النظام فكان برقوق يجلس له بالاسطبل السلطاني أما الأيوبي  
( دار العدل ) فصار في أيام برقوق وأمه خرج والمؤيد شيخ النما هو شيء من بقايا الرسوم المذكورة لا غير .

١) الخلف في السلام عن اللغة .

(٢) : المرجع ١ ص ٢١٣ . (٣) : المرجع ١ ص ٢١٤ . (٤) : الخلف ج ٢ ص ٣١٦ .



عامة قصر والقاهرة بأن ذلك منذ بزوال الدولة لقال الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي السبكي :

أبشر فسمعدك بالسلطان مصر أرى  
إن النصارى لم تستطع لتفصية  
من تحتها لم يأت القرآن فاستمع  
أو أنزل الله قرآناً على جبريل  
فكثرت المنارة ما تقضى بل هيظت  
وغاب سلطانها فاستوحشت ورومت  
فالحمد لله حظ العين زال بما  
لا تعمرى البؤس بعد اليوم مدرسة  
ونمت حتى ترى الدنيا بها امتلات  
بشيرة فسمعدك بالسلطان مصر أرى  
لكن أسر حتى قد يبين في  
فانوجه في الخيال أدها إلى النيل  
تصدعت رأسه من شدة الوجع  
من خشية الله لا للضعف والخلل  
بنفسها جبرى في القلب منتعز  
فكان غيرة الرحمن في الأزل  
تهدت بنيانها بالعلم والعمل  
علماً فليس بقصر غير مستغل

فاتفق على السلطان بعد سقوط المنارة بثلاثة وثلاثين يوماً . ١ هـ  
وله قصيدة بعث بها إلى أخيه الحسين بن علي بن عبد اللطيف لما ولى التدريس بالمدرسة  
السيامية البرانية وقد يكون أمثل من شعر غيره من العلما .  
كانت له بالقاهرة دار مشهورة .  
ومات وفاته بمكة .  
ومن تلاميذه الدسري صاحب حياة الحيوان (١) .

الحسين بن علي بن عبد الكافي (٢)

(١٠٧٢ - ٥٥٥ هـ = ١٣٢٢ - ١٠٣٥٤ م)

ولد في السلطنة الثالثة لناصر محمد بن علاون وتولى في السلطنة القاندة لناصر حسن  
ابن محمد بن علاون نعامر من السلاطين :  
الناصر محمد

(١) شذرات الذهب ج ٧ ص ٨٠ . — (٢) جمال الدين أبو الطيب .

النصور أبو بكر

الأشرف محمد

الناصر أحمد

الصلاح اسمعيل

الملك المنصور

الملك حاجي

الناصر حسن ( السلطنة الأولى )

الصلاح صالح

الناصر حسن ( السلطنة الثانية )

كان ناضجاً ولم يخرج عن المؤلف في الدراسة في ذلك العصر وما عني بدراسة وألفه العروض . وذهب إلى الشام لما عين أبوه قاضي قضائها وهناك أتم دراسته على مشايخها ثم عاد إلى مصر ودرس بالكلية والاسفل بعيداً بدرس القلعة عند القاضي تهاب الدين ابن خليل ثم عاد إلى الشام ودرس بالشامية البغدادية وبغدادها .

وكان كثيره من أفراد هذا البيت ممتازاً بالذكاء وقوة الحافظة . يقول فيه صلاح الدين الصفدي (١) كان ذهنه ثاقباً وفهمه لادراك المعاني مرقياً . . . وكان يعرف العروض جيداً وينظم الشعر على الدر ويألف في معانيه بالزهر الزهر عفيف اليد في أحكامه لا يقبل دعوة من أحد أبداً ولم يسمع بذلك في أيامه . (٢)

سازد بلس علي بن عبد الملك

( ١٠٤٠ - ١٠٥٠ = ١٠٦٠ - ١٠٧٠ )

ولدت في السلطنة الثالثة لناصر محمد بن علاء الدين وتوفيت في سلطنة ارجون بن بوليوق من السلاطین الارجونية اعلمت من السلاطین السجودية .

الناصر محمد بن علاء الدين ( السلطنة الثالثة )

النصور أبو بكر

(١) الطقات : ٦ من ٨٨



الأشرف كجك

الناصر أحمد

الصالح إسماعيل

الكامل شعبان

الظفر حاجي

الناصر حسن ( السلطنة الأولى )

الصالح صالح

الناصر حسن ( السلطنة الثانية )

التصور صلاح الدين محمد

الأشرف شعبان

التصور علي بن شعبان

الصالح حاجي بن شعبان

ومن المرحمة :

الظاهر برفوق

الناصر فرج بن برفوق

سمعت وهي صغيرة علي أبيها وعلي زينب بنت الكمال والشهاب الجزري وأجاز لها  
ثبير من شيوخ الشام والقاهرة وتزوجت بقريبها محمد بن عبد البر بن جني بن علي بن تمام  
وهو يناء الدين أبو البقاء من كبار أفراد البيت السبكي .  
عاشت في مصر والشام وكانت واثقا بالقاهرة بعد مرض طويل .  
ذكرها ابن حجر العسقلاني في معجمه وقال قرأت عليها له وقد روى عنها سواء من  
الشيوخ . وهي في عقود التورزي (١) .

محمد بن علي بن عبد الكافي (٢)

هو أكبر أولاد علي بن عبد الكافي (٣) لكنه مات مبكرا أن يكون له شأن ولا خلف

(١) الضوء اللامع ج ١٢ ص ٥٢ — (٢) أم بكر . — (٣) الطبقات ج ٦ ص ١٩٠

عنى شئاً من أخباره سوى ما جاء فى الطبقات الكبرى عرضاً فى ترجمة على بن عبد الكافى  
من أن هذا كان أكبر أبناء أبيه وأن أبناء خاتمه بقصيدة فيها نصيح وإرشاد إلى ما يجب  
عليه من العناية بالدراسة العلمية والصوفية . . . الخ

محمد بن أحمد بن على بن عبد الكافى (١)

١٧٥٥ - ١٧٩٤ - ١٨٤٤ - ١٨٦٢ م

ولد فى سلطنة الملك الصالح عثمان الدين اسماعيل ونوفى فى سلطنة الأشرف شعبان فعاش  
من سلاطين المماليك البحرية :

الصالح اسماعيل

الملك شعبان

الملك حاجى

الناصر حسين ( السلطنة الأولى )

الصالح صالح

الناصر حسين ( السلطنة الثانية )

الناصر محمد بن الظفر حاجى

الأشرف شعبان

كان كما يقول عنه تاج الدين السبكي فى الطبقات حبيب الشيخ الامام - معنى جده  
فى الدين السبكي - ورعا لله وأبيه .

ولد فى القاهرة وسمع الحديث من جده ومن غيره ورى فى حجر جده بدمشق لا يكاد  
يمارقه وحل من قلبه بالترجمة الرفيعة وحفظ القرآن ولم يزل عنه جده بدمشق إلى أن عرض  
لجده الضعف فسفره أمانه إلى القاهرة سنة ٧٥٩ هـ .

و يروى تاج الدين رواية إذا بحثت كانت دليلاً على نبوغ محمد هذا منقطع النظير . ذلك  
أنه وعمره من الحادية عشرة ألقى درساً بالمدرسة العادلة اجتمع فيه جده تلى الدين وغيره

(١) تلى الدين أبو حاتم ونجمته فى طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٢٢٦ .



من العلماء وكان الهامت على قياسه بهذا الدرس رغبة جده في أن يحضر له درساً قبل وفاته وحضره مع مرشد .

وفي القاهرة استمر بعد هذا في تلقي العلم على والده وغيره ثم وفي مناصب المدرس في المدرسة المنصورية والسيفية والكيارية وفي قبة الشافعي نيابة عن والده وخطيب بالجامع التولوني وكان شاعراً دينا عالماً بنظم الشعر ويحسن وتبب الدروس . يقول تاج الدين السبكي : « كنت أحضر عنده بالمنصورية فيدرس بأبيه وأنا<sup>(١)</sup> » .

محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الكافي<sup>(٢)</sup>

( توفي ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ م )

كانت وفاته في سلطنة عبد العزيز بن برقوق أو فرج بن برقوق من المماليك البرجية ولا تعرف تاريخ ولادته ولا عمره على التحقيق فقد ذهب بعضهم إلى أنه عاش ٤٠ سنة وذهب آخرون إلى أنه عاش ٤٠ سنة فقط وقد وفي نيابة الحاكم من سنة ٧٩٠ هـ إلى أن مات .

له ابنة اسمها قاطمة تزوجها علي ( نور الدين ) من فرع عبد المالك من البيت السبكي وسألي ترجمته في موضعها من هذا البحث .

سنته بنت علي بن عبد الكافي

( توفيت ٧٧٦ هـ = ١٣٧٤ م )

ربما كانت وفاتها في سلطنة الأشرف شعبان ولا تعرف من أخبارها إلا أنها ماتت من وابتها أخيها أحمد وابن أخيها عبد الوهاب في سنة واحدة وكانت وفاتها بالطاعون<sup>(٣)</sup> .

(١) الطبقات السكوتية ج ٥ ص ٢٢٧

(٢) في الدين الوحاتم ترجمته في الطوق اللامع ج ٩ ص ٢٧ العدد ٧٦ .

(٣) شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٤٢ .

صالحه بنت أحمد بن علي بن عبد السكفي (١)

أجاز لها ابن أمية وطبقته وأجاز لها جماعة من أصحاب أبي الفضل بن عيسى .

صالحه بنت عبد الوهاب بن علي بن عبد السكفي (٢)

أجاز لها العرب بن حماد ولفدا أجاز لها ابن أسيد ولفها الرب بن رضوان فاستجازها وقال  
ألم أني برأت عديها شيئا .

علي بن عبد الوهاب بن علي بن عبد السكفي

توفي سنة ١٧٠ هـ . ١ أنظر سنيته .

عبد الله (٣) بن أحمد بن علي بن عبد السكفي

توفي سنة ١٧٠ هـ . ١ أنظر سنيته .

عبد العزيز بن أحمد بن علي بن عبد السكفي

توفي سنة ١٧٠ هـ . ١ أنظر سنيته .

(١) ترجمها في الضوء اللامع ج ١ ص ٧٠ العدد ٤٢٤

(٢) ترجمها في الضوء اللامع ج ١ ص ٧٠ العدد ٤٣٠ .

(٣) رجال الدين

فاطمة بنت محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله

زوج علي نور الدين من فرج عبد الله .

يعني بن علي بن تمام (١١)

١٠٢٤ هـ أو ١٠٢٥ هـ = ١٠٢٥ م .

لأنه وفاته في السلطنة الثالثة للناصر محمد بن علاون .

لقب العلوم الشرعية على مشايخ العصر فدرس الفقه والحديث والأصول وأشياز  
في الفقه وأصوله وولى القضاء في بعض البلاد المصرية ثم درس بالمدرسة السعيدية بالقاهرة  
واستمر بها إلى وفاته ودان بالقرافة ومن تلاميذه حفيده محمد بن عبد اللطيف السبكي .  
ويقال على منزلته في العلم والقضاء رأى ابن حبيب فيه إذ يقول (١٢) : « حاتم أربع  
قدرة . والشرح بالعلم صدره ، وعلت أركان يمينه الشريعة ، ونفذت سهام حكمه المؤيد ، ولى  
نضاه المحلة ، وشكرت حتى أنست الأقاليم عقدة وحله ، وياشر عدة مناصب ودرس وأفاد ،  
ولازم الطريق المؤيد إلى السداد ، وحدث بما سمع وروى ، ونشر ما علمه من الخير إلى  
أن مضى وانطوى » .

محمد بن عبد اللطيف بن يعني (١٣)

( ١٠١٥ - ١٠٤٤ هـ = ١٣٠٤ - ١٣٤٣ م )

ولد بالحملة في السلطنة الثانية للناصر محمد بن علاون وولى في سلطنة الصالح إسماعيل

فيكون قد عاش من السلاطين :

(١) صدر الدين أبو ذكريا

(٢) حرة الاسلام في دولة الانبالج ٢ من ٢٤٠ .

(٣) نفي الدين أبو الفتح



الناصر محمد بن قلاوون ( السلطنة الثانية )

لتظفر بيروس الجائنة كبر

الناصر محمد ( السلطنة الثالثة )

المنصور أبو بكر

الأنصري كجيت

الناصر أحمد

الصالح إسماعيل

تلقى العلوم الشرعية والعربية عن كبار مشايخ مصر والشام والخريجين وتلا بالسبع .  
ومن أساتذته جده صلي الدين أبو زكريا يحيى بن علي بن تمام وقريبه تقي الدين السبكي  
وتزوج إحدى بناته . وكان كغيره من نوابغ هذا البيت من أصبح الناس دهنًا وأذكاهم  
نظرة . وكان ملأ بالأدب متين الدين تام الورع .

كان تقي الدين السبكي كبير المحبة له والتعظيم لدينه وورعه وتفننه في العلوم .  
ولى مناصب التدريس ونياحة الحكم في القاهرة وكان يدرس بالمدرسة السيفية  
ثم انتقل إلى دمشق حيث ناب في القضاء عن تقي الدين السبكي ودرس بالمدرسة  
الركنية .

وصفه تاج الدين السبكي قال (١) : « الفقه الحديث الأديب الشفيق . . . كان من جمع  
بين الفقه والحديث . ووضع أخصصه فوق النجوم مع من حديث . له الأدب الغض .  
والألفاظ التي لو أصغى الجدار إليها لأراء أن ينقض . وكان متدبراً جدياً الشفيق . متورعاً  
حلي محل النجم وارثي . . . وكان أستاذ زمانه في حسن قراءة الحديث صحة وأداء  
والتميز لا وبنائاً له . »

ألف تاريخاً لمواد في زمانه . وله نظم ونثر لا يمتازان عما ألف في نظم ذلك العصر  
ونثره . وقيل في طبقات الشافعية الكبرى شيئاً من شعره وقطعة من خطبه التي افتتح بها  
دروسه في المدرسة الركنية بوليك كيف كان نثره .  
توفي بدمشق ودفن بقاسيون .

محمد (١٩) بن عبد البر بن يحيى بن تمام

( ٨٣٧.٧ - ٥٧٧.٧ = ١٣٠٧ - ١٣٧٥ م )

ولد في السلطنة الثانية للناصر محمد بن قلاوون أو في سلطنة بيبرس الجاشنكير وتوفي في سلطنة شعبان بن حسين فيكون قد عاصر من سلاطين المماليك البحرية :

الناصر محمد بن قلاوون ( السلطنة الثانية )

المظفر بيبرس الجاشنكير

الناصر محمد بن قلاوون ( السلطنة الثالثة )

النصور أبو بكر بن محمد بن قلاوون

الأشرف كجيت

الناصر أحمد

النصالح إسماعيل

الكمال شعبان بن محمد بن قلاوون

المظفر حاجي

الناصر حسن ( السلطنة الأولى )

النصالح صالح

الناصر حسن ( السلطنة الثانية )

النصور محمد بن حاجي

الأشرف شعبان بن حسين

درس على كبار مشايخ عصره ومهر في العربية والفقه وأصول الفقه والتفسير والكلام . ومن كبار مشايخه الشيخ تقي الدين السبكي وبعد دخل الشام وناب عنه في الحكم وبعده

( ١٩ ) بهاء الدين أبو البقاء . وترجمته في الدور ج ٣ ص ٩٠ : العدد ١٣١٦ وفي حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ٢٠١ وفي رفع الأضراس من قضاء مصر لابن حجر العسقلاني وفي شذرات الذهب ج ٩ ص ٢٥٣ وفي دائرة المعارف الإسلامية ( مادة سبك )

تخرج في كبر من الفنون وتزوج ابنته سارة ودرس وأتى . وولى قضاء الشام شهراً في سنة ١٠٧٩ هـ بعد عزل تاج الدين السبكي . ويقال إنه سعى على تاج الدين<sup>(١)</sup> وفي سنة ١٠٧٩ هـ ولى قضاء طرابلس ثم عاد إلى القاهرة وولى قضاء العسكر والنظر في الأوقاف وولى نيابة الحكم ( ١٠٧٩ هـ ) وفي سنة ١٠٧٦ هـ ولى قضاء مصر ثم ولى قضاء الشام إلى أن مات بمصر ودفن فيها بسفح قايون بقربة السبكية .

كان واسع العلم ولكنه لم يصف شيئاً . شهد بعلمه كثيرون بالأسنوي والذهبي وقد يقول ابن حبيب : « شيخ الإسلام وعباده ، ومصباح أفق الحكم وضيائه ، وشمس الشريعة وحرها ، وخبر العلوم وجرها ، كان إماماً في المذهب ، طرازاً لروائه المذهب ، رأساً لدوى الرئاسة والرتب ، جعل في التفسير والفتا والتجوال والأدب ، قدوة في الأصول والفروع ، رحلة لأرباب السجود والركوع ، مشهور في البلاد والأمصار ، سلك طريق من سلك من سلكه الأنصار ، درس وأفاد ، وعدي بقاؤه إلى سبيل الرشاد » .

ويشتهر بسميت رعية أي البقاء وهي من جملة رعية باب العبد بالقاهرة<sup>(٢)</sup> حيث كان يسكن . يقول القرطبي في الخطط إنها ( الرعية ) عرفت بقاضي القضاء بها الدين أي البقاء محمد بن عبد الله بن يحيى بن علي بن تمام السبكي الشافعي أحد العلماء الأكابر نقله قضاء القضاء بمصر والشام . ٥١

محمد بن عبد الرحيم بن يحيى<sup>(٣)</sup>

( توفي ١٠٩٦ هـ = ١٠٧٧ م )

كانت وفاته في سلطنة الأشرف شعبان بن حسين .

نقله قبله وعني بالخصيت وولى المدرس الحديث بالشيخونية بعناية ابن عبد بهاء الدين أبي البقاء وله بعض مؤلفات في الفقه .

(١) الدرر ج ٢ ص ٤٩

(٢) خطط القرطبي — الكلام على رعية القاهرة .

(٣) أبو التركات كان الدين وتوجه في الدرر ج ٤ ص ١٥ العدد ٣١ .



محمد بن (١) محمد بن عبد الطيف بن يحيى

( ٧٣٤ أو ٣٤ أو ٣٩ = ٧٧١ = ١٣٣٥ - ١٣٤٠ م )

ولد في السلطنة الثالثة ل محمد بن ملاوون وتوفي في سلطنة الأشرف شعبان بن حسين  
أصبح قد عاصر من سلاطين المماليك البحرية :

الناصر محمد بن ملاوون

المنصور أبو بكر

الأشرف نجك

الناصر أحمد

الصالح إسماعيل

الكاظم شعبان بن محمد بن ملاوون

الملك الحارث

الناصر حسن ( السلطنة الأولى )

الصالح صالح

الناصر حسن ( السلطنة الثانية )

المنصور محمد بن حارث

الأشرف شعبان بن حسين

إذا أصبح ما روى في الدرر وفي شذرات الذهب فقد كان محمد بن محمد بن عبد الطيف  
ابن يحيى خارقاً للعادة في استعداده العلمي إذا لا يكاد يتصور أن يتوفى تلميذ من الحديث  
بالمركبة ساب في الخامسة عشرة وإن كان أبوه ( تقي الدين أبو الفتح ) وأخوانه  
( تاج الدين ) و ( جمال الدين أبو الطيف ) و ( بهاء الدين أبو حامد ) و جده لأبيه  
( تقي الدين أبو الحسن ) لكن هكذا قال عنه من توجموا له .

قالوا إنه ماهر في عدة فنون وكانت له حمة عالية مع الذكاء والفهم وحسن الشكل

(١) بدر الدين أبو الفتح . وترجمته في الدرر ج ٤ ص ١٨٩ العدد ١٥٠٨ وفي شذرات الذهب ج ٦

ص ٢٢٢ .

والنودد إلى الناس . درس بالتركية وهو صغير جداً في نحو الخامسة عشرة في حياة جده  
لأمه فنى الدين السبي . ثم درس بالشامية الجوانية ، ثم بالبرانية نيابة عن خاله تاج الدين  
وناب عنه في الحكم وولى قضاء العسكر وكان يقرب عنه في الخطاية . ومعنى ذلك أنه كان  
يخطب في الجامع الأسوي وكان حسن الخطابة كثير الحشمة .

ولما ولى خاله بهاء الدين أبو حامد قضاء الشام كان هو الذي يباشر عنه القضاء  
والشيخ بهاء الدين لا يباشر شيئاً في الغالب .

توجه إلى القدس ليزور خاله بهاء الدين السبي لما قدمه ليصوم به رمضان فضعف  
في الطريق فوصل إلى القدس ضعيفاً وثق خاله وأمسر ضعفه أياماً فمات ودفن بباب الرحمة .

سيد الله<sup>(١)</sup> بن محمد بن عبد البر

( ٧٣٥ - ٧٨٥ ٣٣٥ ١٣٣٤ - ١٣٨٣ م )

ولد في السلطنة الثالثة للناسر محمد بن اللاون وتوفي في سلطنة الظاهر برفوف فعاصر  
من سلاطين المماليك البحرية :

الناسر محمد بن اللاون

النصور أبو بكر

الأشرف تيمك

الناسر أحمد

الصالح إسماعيل

الكمال شعبان بن محمد بن اللاون

المظفر حاكمي

الناسر حسن ( السلطنة الأولى )

الصالح صالح

(١) ولى الدين أبو دم وأرجسته في الدور ٢ من ٢٩٢ العدد ٢٢٩٣ وفي شذرات الذهب ج ٦

من ٢٨٨ .

الناصر حسن ( السلطنة الثانية )

المصور محمد بن حاجي

الأشرف شعبان بن حسين

المصور علي بن شعبان

الصالح زين الدين حاجي بن شعبان

ومن سلاطين المالك البحرية :

الظاهر برقوق

تلقى العلوم الشرعية كالاعتقاد عن عدة من المشايخ في مصر والشام ومنهم زهره بنت الحفني وزينب بنت الكمال سمع منها في دمشق واشتغل في العربية وناب في الحكم عن قريب تاج الدين السبكي ثم عن أبيه هو . وبعد موته استقل بالقضاء بدمشق وولى التدريس بأماكن عدة . ولد نظم حسن وكان موصوفاً بالحس والاحسان إلى الفقراء والصغير على الأذى .

ومات وهو على القضاء بدمشق ودفن عند أبيه بقربة السبكية .

علي (١) بن محمد بن عبد البر

١٥٥٧ - ٨٠٩ هـ = ١٣٥٦ - ١٤٠٩ م

ولد في السلطنة الثانية لناصر حسن بن محمد بن علاوون ونوف في سلطنة الناصر فرج ابن برقوق فيكون قد عاش من سلاطين البحرية :

الناصر حسن

المصور محمد بن حاجي

الأشرف شعبان بن حسين

المصور علي بن شعبان

(١) العلامة أبو الحسن وترجمته في الضوء اللامع ج ٥ ص ٣٠٨ العدد ١٠٢١ .



الناصر حدي بن تميم

ومن الترجمة :

الظاهر يرقوق

الناصر فرج بن يرقوق

ولد بدمشق ونشأ بمصر وولد بدمشق مع والده سنة ٧٧٦ ودرس بالصارمية وولى قضاء الشام مرتين في دولة الظاهر يرقوق ومرتين في دولة الناصر فرج . وأول ما استقر كان الظاهر في دمشق سنة ٧٩٦ فحضر قراءة عقيدته قضاء الشام وقضاء مصر . غزل صاحب الضوء اللامع : « كان رئيساً محتشم ذكياً فاضلاً . خاتمة البيت السبي اه . »

ويقول أيضاً : « مات محتشياً من الناصر فرج . مات من رغب أصابه بسبب ما طلب منه على سبيل التقدير فأخفى عنه الشيخ أبي بكر النوصلي وقيل إنه كان بدمشق في كنف أخيه عبد الله ثم قدم بعد موته إلى القاهرة فتاب عن أخيه البدر ثم عاد إلى دمشق وكانت وفاته بها . اه . »

محمد (١) بن محمد بن عبد البر

( ٧٥١ - ٨٠٢ أو ٨٠٣ - ٨٤٠ = ١٣٤٠ - ١٤٠٠ م )

ولد في السلطنة الثالثة للناصر محمد بن قلاوون ونوى في سلطنة الناصر فرج بن يرقوق فناصر من السلاطين البحرية :

الناصر محمد بن قلاوون

النصور أبو بكر

الأشرف كنجك

(١) در الدين أبو عبد الله ونجمته في الضوء اللامع ج ٩ ص ٨٨ العدد ٢٤٠ . وفي حسن الخاضعة ج ١ ص ٢٠١ . وفي زرع الأمير عن قضاء مصر لابن حجر المصنف في . وفي شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٧ .

الناصر أحمد  
 الصالح إسماعيل  
 الكامل شعبان  
 المظفر حاجي  
 الناصر حسن ( السلطنة الأولى )  
 الصالح صالح  
 الناصر حسن ( السلطنة الثانية )  
 المنصور محمد بن حاجي  
 الأشرف شعبان بن حسين  
 المنصور علي بن شعبان  
 الصالح حاجي بن شعبان

ومن البرجانية :

الظاهر برفوف  
 الناصر هرج بن برفوف

يعرف بآبى أبي الفضل . تلقى العلم عن أبيه وغير أبيه من المشايخ . وأول ما درس  
 بالأنابكية في شوال ٧٦٢ هـ عند قدوم المنصور محمد بن المظفر حاجي دمشق في قتله بدمر .  
 وحضر عنده الأكارب وولى خطايبه الحاجب الأسوي وقدم مع أبيه مصروفات في القضاء بها .  
 ثم عاد لدمشق في سنة ٧٧٨ هـ وناب فيها عن أخيه يوماً واحداً واستقر في تدريس الحديث  
 بالمنصورية ثم بعد أبيه في تدريس الفقه بها مع التدريس الجاور عبد الشافعي . ثم استقر  
 في قضاء الشافعية بالديار المصرية في شعبان ٧٧٩ هـ غضب قتل الأشرف شعبان - بعد  
 صرف البرهان بن جماعة - بحال بذلك وانزعج منه درس المنصورية والشافعية . فكثر فيه  
 القول بذلك فنكح بوشة في صرقه وأعيد البرهان في أوائل سنة ٧٨١ هـ . فكانت مدة ولايته  
 سنة وثلاث سنة وبنى بالقاهرة ثلاث سنين بلا وظيفة ثم أعيد إلى القضاء سنة ٧٨٤ هـ  
 وامتنع فيها بسبب تركة ابن مازن شيخ قرب المجيرة وغرم بالآثار كثيراً ثم عزل سنة  
 ٧٨٩ هـ ثم أعيد ثم صرف ثم أعيد ثم صرف وداء معزولاً عن القضاء ومعه التدريس الأيوبي  
 الجاور للشافعية ونظر القاهرة حتى مات .

وكان قد فوض إليه قضاء الشام بعد موت أخيه ولى الدين عبد الله لكنه صرف قبل مباشرته له .

فبذلت أحواله بعد أن نشأ له ابنه جلال الدين وكثرت الشناعة عليه بسببه حتى كان الظاهر يرفوق يقول لولا جلال الدين ما عزلته لأن جلال الدين لا يطاق اهـ .

وكان يقرر التدريس أحسن تقرير مع فقد مطامعته وكان يعرف اللقد وأصوله والنحو والمعاني والبيان وليست له في التاريخ والآداب يد ، مع دسائفة الخلق والظهاره اللسان وعفة الفرج ولكنه كان يتوقف في الأمور وينسى مع الرسائل واستكثر من التواب ومن الشهود ومن تغيير قضاء البلاد يبدل المال .

ذكره القزويني في عقودهم وقال إنه صعب أمواً وكان من خبره القضاة لولا حبه الدنيا وكثرة لينه وتحكم ابنه فيد كما كان كثير التلاوة حسن الاستعداد يجيد إلقاء الدروس من غير مطالعة لاستغاله بالصب وشغفه بالنساء ، عديم الشر لا يكاد يواجه أداني الناس بسوء .

هذا ويخبرنا القلقشندي (١) أنه كان لكل من بدر الدين هذا وابنه جلال الدين إشار إليه فيا يقدم والآتي الكلام عند بعد تصدير بالجامع الأموي بدمشق خرج عنهما سنة ٨٠٢ هـ ثم أعيد إليهما في السنة نفسها وكانت إعادتهما بتوايح من إنشاء القلقشندي ، ولو كان ما جاء في هذا التوقيع - وهو قرار رسمي - متفقاً مع الواقع لكان بدر الدين وابنه جلال الدين من خير الناس خلافاً لما جاء في ترجمتهما ولا سيما فيما يتعلق بجلال الدين ، لكن الأقرب إلى الصحة بعد المكتابات الرسمية عن الحقيقة وتسميتها مع الرضى عن الموظف أو عدم الرضى عنه . وما أتت به القليلة بالبارحة .

ولا بأس بأن نورد هنا التوقيع وما مهد له به منشئ القلقشندي قال :  
وهذه نسخة توقيع انشاءه لقاضي القضاة بدر الدين محمد ابن قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء وولده جلال الدين محمد بإعادة تصدير بن كانا باسماهما بالجامع الأموي بدمشق أحدهما انتقل إليهما عن سابقهما والثاني ينزول وخرج عنهما عند استيلاء (تم) نائب الشام على الشام في سنة ٨٠٢ هـ ثم أعيد إليهما في شوال من السنة المذكورة في قطع التلب وهي :

الحمد لله الذي جعل بدر الدين في أيامنا الزاهرة متواصل رتب الكمال . متردداً



في فئت العالي بأكرم سماع بين جهاء وجلال ، فلما مرتقب الظهور في سراه ، أو مقسم  
بإتمام في إبداره ، وأخذ في الازدياد وهو هلال .

لحمده على أن أقر الحقوق في أهلها ، وانتزع من الأيدي الغاصية ما اقتطعت  
الأيام الخائرة بجهتها ، وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعمي  
فأهلها من سوانب الكبر ، وتصور من عوارض الاصدار إذا ورد  
أمنى ساهل الصدر . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل نبي إقتفت أمته آثاره واتبعت  
سننه ، وأكرم رسول دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والوعظة الحسنة ، صلى الله عليه وعلى آله  
وصحبه أئمة الحق وأعلام الهدى ، وحياة الدين وكفافة الردى ، صلاة يبنى على  
مدى الأيام حكمها ، ولا يندرس على بحر اللغات رسمها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن أولى من رعيت له الحقوق القديمة ، وحفظت له مساعده الكريمة ، وحظت  
عليه النعم التي حتى لما أن تكون بأهلها مقيمة ، من كرم أصلا وطيب فرعاً ، وزك منبعاً  
وعذب نبعاً ، ووقع الاجماع على فضله المتواتر فأعدي الحكم بتفضيله قطعاً ، ومن إذا تكلم  
فأى بفضله نثر اللآلئ ، وإذا قدر قدره الحظت عن بلوغ غايته العالي ، وإذا طلع بدره  
المضي من أفق مجلس التوروث عن أبيه وأعمامه قال نيت أسياخي شهدوا هذا المجلس العالي .  
ومن إذا جلس بحفلة البيعة عليه من الهبة جلالة ، وإذا طافت به حالة الطلبة والمستبشرين  
فلما أحسن هذا البدر في هذه الحالة ، ومن تقيد طلبته على أكارم العلماء بالائتماء إليه ،  
وتشبع نفوس تلاميذه على غيرة من المتصدين بالجلوس بين يديه ، ومن إذا قام  
تصر طلع بالشام بدره ، ولو ألام بالشام حتى يحصر على الدوام ذكره .

وكان المجلس العالي القاضي الكبيرى العاني العامل الأنضلى الأتقى الأوحدي البليغي  
الفريدي المبيدي النجدي القدوى الحجي الحقيقى الأمامى الأصمى البدرى جمال الاسلام  
والسنتين ، شرف العلماء العاملين ، أوجد الفضلاء المفيدين ، قدوة البلغاء حجة الأدب حمده  
أخذاً من فخر المدرسين ، مفضي الفرق ، أوجد الأئمة ، زين الأمة ، خالصة الملوك والسلاطين ،  
ولى أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد ابن المجلس العالي القاضي الكبيرى المرحومى البهائى  
أنى البقاء الشافعى السبكي ضاعف الله تعالى نعمته ، هو عين أعيان الزمان ، والحسن بفضله  
على بحر الثبالي وليس الخير كالعيان . ما ولى منصباً من المناصب الدينية إلا كان له أهلا ،  
ولا أراء الانصراف من مجلس علم إلا قال له مهلاً ، ولا استبدل به في وظيفة إلا نسب  
مستبدله إلى الخيف ، ولا صرف عن ولاية إلا قال استحقاقه كيف ساع ذلك لشعائيه  
نكيف وكيف .

وكان والده ابي عبد الله السامي القاضي الكبيرى العالمى الماضى الشافعى البارعى الأصغر  
العرشى الجلالى ضياء الاسلام فخر الأنام زين الصور جلال الأعيان لجل الأفاضل سليل  
العلماء صفوة النبوة والصلاحين خالصة أمير المؤمنين أبو (١) . . . محمد بلغ الله تعالى فيه  
إعازله غاية الأمل . وأقر به عين الزمان كما أقر به عين أبيه وقد فعل . قد أرفع شأن  
العلم ورزق في حجره ولشأ في بيته ودرج من ذكره وكنى له جوده الطريقين أبا وأماً (٢)  
وحصل على شرف المحندين خلا وعما لم يقع عليه بصر متبصر إلا قال نعم الولد ولا تأبله  
صحيح النظر إلا قال هذا السبيل من ذاك الأسد ولا روى والده إلى غاية إلا أدركها  
ولا أحاط به منطق طلبة إلا هزعا للبحث وحركها ولا اقتنى أثر أبيه وجده في مهيع فضل  
إلا قال فأنته أشرف بها من ذرية ما أبركها .

وانشأ أن يخرج عنهما ما كان باسئهما من وفقتي التصدير بالقيامع الأموى  
المصور به شر الله تعالى يستحق الفروسة المنتقدة إحداهما إليهما عن سلفهما الصالح فبما  
والصانرة الأخرى إليهما بطريق شرمى معبر وضعاً ولأدت حكمه - انتهى حسن الرأى  
الشريف أن يحفظ لهم سائر الخدمة ويرعى لهم قديم الولاء فالعبرة في التقديم عند  
المثول بالخدمة .

فدقت رسم بالأمر الشريف لا زال لى لى البيوت حانقاً وعلى الاحسان لأهل العلم  
الشريف على نور الزمان عانقاً أن يعاد ذلك إليهما ويوالى مزيد الاحسان عليهما فليقلنا  
ذلك بالقبول ويسقط . يقول أسلفهما فمن سببه إنعامنا الشريف حق له أن يقول ويقول .  
وبذلك أمرهما القوي لى غير زاد . والنصاها وإن كثرت فعلهما تؤخذ ومنها استناد .  
والله تعالى يفرح بهذا الاستعداد عناً . ويبهج خواطرهما بهذه الولاء إلهاج من وجد ضالته  
قال هذه بضاعتنا ردت إلينا . والاعتراف في ذلك على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى -  
أعزاه حجة بقتضاه إن شاء الله تعالى . ا هـ

و نحن هنا أن الجهد إلى اضطراب من أياض في كلامه عن هذا الدين هذا :

(١) قال و سيج الأعمى إن هذا بياناً بالأصل وأكاد أنطم بأن هذا البيان مع كذا أبو من عن  
الشيخ لا يؤلف اعتقاد من الشيخ بأن سلال الدين له كنية كغيره ولكنه لم يهت إليها - والذي وصلى  
إليه على أن سلال الدين هذا لم يكن يكنى بأى سلال وإنما عرف كما عرف أبو محمد وأبوه عبد البر بن  
أبى القاسم .

(٢) لم نجد ذكرنا لأمه لكن المردف أن جدته سارة بنت على بن عبد الكافي فلو العارضة تشير إليها .

فهو يقول في حوادث سنة ٧٨٩ هـ : في شعبان الفصل تاسع القضية الشافعية بامر الدين  
أبو البقاء السبكي ١ هـ . ويذكر الدين ليس أبا البقاء وإنما شهرته كما تقدم ابن أبي البقاء  
كما اشتهر بابن أبي البقاء أيضاً ابنه محمد (جلال الدين) وابن جلال الدين عبد البر  
(سرى الدين أبو اليسر) .

ثم إن ابن إياس أضاف بذكر الدين هذا ثلاث مرات : في سنة ٧٩٤ هـ وفي سنة ٧٩٥ هـ  
وفي سنة ٨٠٣ هـ وقد فسنا أن وفاته كانت سنة ٨٠٧ هـ . وإذا جاز أنها كانت سنة ٨٠٣ هـ  
كما يقول ابن إياس فذكره في وفيات ٧٩٥ ، ٧٩٥ خطأ لا أدري ما مصدره ، وكان يصح  
التفريق إليه لو كنا أكثر غنايه بكتب المصنف عند طبعها .

أحمد (١) بن محمد بن عبد البر

(توفي ٨٠٢ هـ - ١٠٩٩ م)

كانت وفاته في سلطنة فرج بن برقوق .

ناب في الحكم من أخيه وولى نظريته المال بالطاهرة . قيل إنه كان قتيلاً فاضلاً درس عن  
أبيه بالطاهرة بمسقط ودمم القاهرة . فلما استقر أبوه في قضائه استقر بدله في نظريته المال .  
يقول صاحب الضوء اللامع : « وغلط من زاد في نسبه ثمراً أيضاً كالقزويني في غفوة  
فقال أحمد بن محمد بن محمد بن عبد البر . ١ هـ »

بأي خاتون (٢) بنت علي بن محمد بن عبد البر

(حوالي ٧٧٥ هـ - ٨٦٤ هـ - ١٣٧٣ - ١٤٥٩ م)

حدثت بالشام وبصرى وكانت تقيم بالشام ثم نقلها الطاهر بقمي إلى القاهرة لاستئصاله  
بها وسكنت بحكم المرسية من قناطر السباع .

(١) الشهاب وترجمته في الضوء اللامع ج ٢ من ١١٨ العدد ٣٥٩ .

(٢) أم عبد الرحمن وترجمتها في الضوء اللامع ج ١٢ من ١١ العدد ٥٨ .



ولما ولد محمد بن عبد الله وولده وحيدة محبة في الحديث وأخذه لا تمل من الأسرع  
مع إبراهيم وإسماعيل . هكذا وصفها مخرجها ثم يقول حلفت عنها الكبير . ١٥  
وإذا صح أنها ولدت حوالي ٥٧٠ هـ وتوفيت سنة ٨٦٤ هـ فقد عمرت وعاصرت من  
السلطان البحرية الأشرف شعبان بن حسين والنصور علي بن شعبان والصالح حاجي بن  
شعبان وسي البرجيه عدة من الظاهر يرقون إلى الزيد احمد بن النبال .

### زينب (١١) أخت أبي خاتون

كان ما وفدت عليه من أخبارها أن أباهما أسمعها البخاري على عائشة بنت ابن عبد الهادي  
والسبي في شعبان سنة ثمان ٨٠٨ هـ .

محمد بن محمد بن محمد بن عبد البر (١٢)

(قبل ٧٩٠ - ٨١١ هـ = قبل ١٣٥٨ - ١٤٤٠ هـ)

عرفت أيضاً باسم أبي البقاء .

الدخول في صباه قليلاً وكان جميل الصورة لكنه صار قبيح السيرة كثير المجاهرة  
بما أوزى أباه في حاله وبعد موته . بن لولا وجوده لما عم أبوه .  
وقد ولي بعده تدريس الشافعي عيه ابن خراب مع بذل دار تساوي ألف دينار إلى  
ولي ابن تدريس الشيعونية يدلي جنيل تيزوز ناظرها .  
وقد تقدم في ترجمة أبيه محمد بن محمد بن عبد البر ما كان لجلال الدين هذا من صدور  
بالجامع الأسوي خرج عنه ثم أعيد إليه . راجع من إنشاء القشتلدي حفظه لنا في صحيح  
الاعتقلى الجزء ١٠ من ٩٠ وقد أثبتنا صورته في من ٧٧ وما بعد ما .

(١١) أم عبد الله راجعها في الصورة اللامع ج ٦٢ من ١١ العدد ٥٥٨ .

(١٢) جلال الدين ورحمته في الصورة اللامع ج ٩ من ٣٢٤ العدد ٥٤٥ ول شذرات الذهب

ج ٧ من ٩٥ .

عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد البر

توفي سنة ٨٠٣ هـ = ١٤٠٠ م

كانت وفاته في سلطنة الناصر فرج بن برقوق .

ترجمته في الضوء اللامع ج ٥ ص ٦٤ العدد ٢٣٢ وليس بها سوى نسبه  
وإخراج وفاته .

فاطمة بنت محمد بن محمد بن عبد البر

ذكرت في الضوء اللامع ج ١٢ ص ١٠٤ العدد ٦٦ ولم يرد عنها هناك سوى  
أنها أجازت في بعض الاستدعاءات سنة ٨٦٤ وكتب عنها ابن الصفي قال : « وما أعلم شيئا  
من أمرها ولكن ذكر ابن قمر أنه ظفر باستدعاء أجازها فيه بجماعة » .

عبد البر<sup>(١)</sup> بن محمد بن محمد بن عبد البر

أحواله ٨٠٢ - ٨٣٣ هـ = ١٣٩٩ - ١٤٢٩ م

ربما كان مولده في سلطنة الناصر فرج بن برقوق . أما وفاته ففي سلطنة العزيز بن يوسف  
ابن برساي وعلى هذا يكون قد عاش من سلاطين البرجية :

الناصر فرج بن برقوق

المنصور عبد العزيز بن برقوق

الناصر فرج ثانية

الخليفة المستعين بالله

(١) سري الدين أبو البر و ترجمته في الضوء اللامع ج ٤ ص ٣٢ العدد ١٠١ .

المؤيد شيخ  
المفتي احمد بن شيخ  
القاهر طبر  
الصالح محمد بن طبر  
الاشرف برساي  
العزيز يوسف بن برساي

يعرف كآية وجهه بآين أبي القادر .

نشأ شاباً جميل الصورة كآيد فاضل ولازم الوفا العراقي في الاماني وغيرها وجمع الحديث من عدة من المشايخ ودرس بالابغاوية وغيرها ونسب في الحكم قبل موته بسنة ثم سافر إلى الشام وجمع نسب ولم يكمن الثلاثين قال والده مات سنة ٨٠١ هـ وابنه صغير ذلك هذا قد تزوج ايند الزين أبي بكر بن علي المشهدي فاسوانها ولده الياء أبا الياء بهذا ولده اسير الياء المشهدي في الحاريس الابغاوية .

م ١١١ بن محمد أبي البركات بن ماله بن أنس

( توفي ٨٤٧ هـ = ١٤٤٣ م )

كانت ولده في سلطنة القاهر ضيق من سلاطين البرجة .

يقول صاحب الضوء اللامع إن علي هذا نسب في الحكم عن الجلال البقيني فمن بعده إلى أن طلب عليه الخشب ، وكان يكتب الخط البديع وله باع في الذكر الفائق والنظم الرائع ومات سنة ٨٠١ هـ وفيه بجوش سعد السعداء منه والده بجوار جدتها شيخ الاسلام تقي الدين . ١ هـ هذا وليس شيخ الاسلام تقي الدين السبكي بجد مباشر وإنما صاحب الضوء اللامع لم يقصد إلا أنه جد لم في الجملة .

وزوج علي هذا لاطمة بنت محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد السبكي ( تقي الدين السبكي ) .

١١١ نور الدين ورجته في الضوء اللامع ج ١ ص ٧٩٠



محمد (١) بن علي بن أبي البركات محمد بن مالك بن أنس بن عبد الملك

( ولد ٨٢٢ هـ = ١٤١٩ م )

عبد الملك هو أخو عبد الكافي والد الفقي السبكي وأم المترجم قاسية بنت محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الكافي وليكون جدها مات في حياة أبيه خلفه أبوها في اسمه وشبهه وتلقبه .

ولد محمد هذا بقاعة الأصهباني ظاهر باب القصر ولا يعرف تاريخ وفاته لكن يظهر أنه كان في سنة ٨٩٩ هـ بعد في الأحياء فإذا صح هذا فيكون قد عاش إلى نحو الثمانين . والظاهر من أخباره أنه لم يكن من الراسخين في العلوم الشرعية لكنه كان يندوف الأدب ويقول شيئاً من الشعر . ولعل مما عاينه في حياته ما عرض له من تقلب فحش في جمعه . وكان لطيف العشرة وصاهر العز بن عبد السلام على ابنته . زار بيت المقدس غير مرة ودخل الشام مراراً .

علي بن محمد بن علي بن محمد بن مالك بن أنس

( ولد ٨٤٧ هـ = ١٤٤٣ م )

سبط العز بن عبد السلام وكانت ولادته في سلطنة الظاهر بقمي . ولد بالقاهرة ونشأ في نفس أبوه ولم يحصل كثيراً من العلم والظاهر أنه كان له عن أبوه ما يعينه على عيشه لا بأس بها .

(١) في الدين وترجمته في الفتاوى المجمع ج ٨ ص ٢٠٧ العدد ٥٤٠ .



## سبك وسبك

في مديرية المنولية سكان إحصاءهما بمرکز منوف الآن واسمها الرسمى سبك الضحاك  
والأخرى بمرکز أشمون الآن واسمها الرسمى سبك العويضات .

سبك اسم التمساح في المصرية القديمة . وفي وجود قرينين بهذا الاسم الدلالة على أن  
التمساح كان الولي المعتقد لهما أو كان إلهيهما أو معبودهما على حد تعبير الأتريين . والضحاك  
في اسم قرية سبك الضحاك أفصح في الدلالة على صلتها بالتمساح فقد كان قباء المصريين  
يعتقدون أن التمساح يضحك في موسم الفيضان نرحاً بالنيل<sup>(١)</sup> فالضحاك في سبك  
الضحاك أصله بوضف كاشف .

وأقدم مصدر عربي فيما أعلم ذكر في قرية سبك هو رحلة ابن جبير . فقد ذكر في  
وصف رحلته من الإسكندرية إلى القسطنطينية أنه هو ومن معه مروا بقرية سبك وبأنوا بها ليلة  
وذكر لنا شيئاً عن القرية ولم يعين أمى سبك الضحاك أم سبك الأخرى . لكن خط  
سيرة لا يكاد يدع مجالاً للشك في أن مبيتهم كان بسبك الضحاك .  
والمفروض أن هذه القرية سميت سبك الضحاك منذ أخذ العرب بعد الفتح يسمون  
بالقرى المصرية واحتفظت باسمها هذا حتى اليوم .

ليكنها معروفة عند العامة بسبك الثلاث بالهاء المثناه . وليس لدينا ما يدل على الوقت  
الذي عرفت فيه بهذا الاسم ولم أعثر على مصدر ذكرها بهذا الاسم أقدم من ابن إياس وهو  
يسميها سبك الثلاث . وقد ذكرها في حوادث سنة ٥٢٨ هـ بمناسبة وصفه للأجراءات التي  
اتخذت في مصر لإرسال قوة عسكرية منها لمساعدة الحكومة العثمانية عندما اعتزم السلطان  
سليمان فتح رودس . ومن تلك الإجراءات جمع الفلاحين والفلاحين والمغاربة للعمل بالسفن

(١) الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة أثبت مديقتنا الأثرى المعروف سليم حسن بك : الجزء  
الثاني ص ١٠٠ في السكالك عن أشودة النيل .



التي أعيدت على الجند . يقول ابن عباس : ثم رسم ملك الأمراء الكنائس الجيزة وغيره أن  
يحبصوا على جماعة من الفلاحين من قضاة ولبوب وسبك الثلاث ومن شعرا وشيخا وغير  
ذلك من الضبايح . . . الخ (١) والظاهر أن سبك الضحاك كانت في زمن المهديك مفر  
فهم يميز من ألسان المتوقفة يؤيد هذا ما تقدم من عبارة ابن عباس وما ذكره ابن الجيعان  
عند كلامه على المصلحة من أنها ( من كقول سبك ) .

والزبدى في قولها باسمها الرسمى سبك الضحاك ويؤيد أنها معروفة بسبك الثلاثاء  
وهو في هذا معنى مع المشهور عند أهلها اليوم بأنها سميت سبك الثلاثاء لأن سوقها الأسبوعية  
يوم الثلاثاء ومعنى هذا أنه كانت بها سوق أسبوعية في يوم الثلاثاء من زمن ابن عباس  
على الأقل إلى اليوم وهذا غير مستحيل لكن ليس لدينا ما يؤيده سوى أن بها حتى الآن  
سوق مشهورة في يوم الثلاثاء ولكن استمرار هذه السوق من القرن العاشر الهجري ( على  
الأقل ) إلى الآن بلا تغيير في يومها أمر يلفت النظر وإن اتفق مع ما لاحظته العربون  
من بقاء السوق في الشرق .

وسبب تغير المورخ إذا كان على علم بهذه القرينة أن من العائلات المعروفة قديما عائدة  
إلى التلاية : وإلى غير قريب كان اسم أفرادها في سجلات التلاية تسمى لقب تلاله  
ولا زال فرع من فروعها يحتفظ بقب ( أبو تلاله ) فهل هناك صلة بين اسم هذه العائلة  
والشمار القريه بأنها سبك الثلاث ويكون امتداد أنها سميت باسم يوم سوقها خطأ مشهور  
ما اتفق من أن يوم السوق يفتس باسم تلك العائلة .

هذا ما لا يبدل إلى تحفته لكنها ملاحظة يرى المورخ عدم اغفالها .

أما سبك الأخرى سبك العريضات فعرفت في المصادر التاريخية العربية بسبك العيد  
وسبك الأحد ولا تزال تعرف عند العامة بسبك الأحد وسعى فيما يرى تطور هذه التسمية  
وإن كنا لم نهند إلى سبب يؤيده المصادر التاريخية لتسميتها بسبك العيد ولا لتسميتها  
بسبك العريضات ، أما تسميتها بسبك الأحد ( الجند ) فالعامة ترجعه إلى سوق بها يوم الأحد .  
تصعب الخطيب الجديد المتوقفة على أننا مبارك بأن السبكية الذين هم موضوع  
بحثنا هذا من سبك الضحاك وكانت ذات كبر الخطط رأس قسم سبك وكانت سبك العريضات  
قريه من قري السبك (٢) .

(١) ابن عباس ج ٣ ص ٢٠٣

(٢) الخطيب على ما رواه مادة سبك

ود كرت الخطط سبعة من البيت السبكي على أنهم من سبك الضحاك وهم :

	علي بن عبد الكافي
{	عبد الوهاب
	أحمد
	الحسين
	عبد بن عبد البر
	محمد (ابنه)
	محمد بن عبد الطيف

وزادت أن من سبك الضحاك أحمد بن خليل بن إبراهيم واعتمدت في كلامها عنه على ما جاء في خلاصة الأثر . لكن خلاصة الأثر لم تعين بلده ولم تؤد على أن وصفته بالسبكي دون أن تذكر من أي السبكين هو ؛ فليس لدينا دليل على أنه من سبك الضحاك . ثم ذكرت الخطط من أهل سبك الضحاك المرحوم أحمد بك السبكي زميل المرحوم علي باشا مبارك في الدراسة أو في الإرسالية إلى فرنسا ولا شك في هذا . لكن الخطط لم تذكر ما استندت إليه في أن السبكية المعروفين في عصر المالك من سبك الضحاك .

والغريب أن نافع الدين السبكي لا يشير إلى قريبهم فيما أورده في الطبقات الكبرى من تراجم لأهله مع أنه في الطبقات يذكر من التفصيلات الممتعة التي يرحب بها المؤرخ حينئذ كثيراً . ولو تعرض لذكر قريبهم لما ترك محالاً للخطأ بسبب التباس الناس من وجود قريبين بهذا الاسم في مديرية واحدة بل في منطقة واحدة فقد كانتا في زمن تأليف الخطط في قسم واحد من أقسام مديرية الشوكة .

والتحقيق التاريخي يقضي إلى خلاف ما جاء في الخطط وليس هذا بطاعن في مكانة صاحبها وفضله . ونحن لا يفوتنا أنه رحمه الله كان في خططه وفي غيرها من مؤلفاته لا ينوئ بنفسه التأليف والتحقيق في كل ما يكتب فيها . إنما كانت ميزته الكبرى الإشراف والتوجيه . أما التنفيذ والتحقيق فكان متركاً لغيره .

فإذاً لدينا من المستندات التاريخية على أن السبكية الذين نحن بصددهم إنما هم من سبك العويضات لا من سبك الضحاك .

جاء في الجزء الثالث المجلد الثاني ص ٣٦ من ألسان العصر إصلاح الدين أبي الصفاء خليل

ابن أبيك الصفدي عند الكلام على عبد الكافي بن علي بن تمام أنه من أهل بيت العبيد .

وخليل بن أبيك الصفدي تلميذ تقي الدين السبكي وكانت له صلة خاصة بتاج الدين السبكي . ولتاج الدين أثر في أعيان العصر بن هو بكاء يكون مشتركاً في تأليفه فهو يقول في ترجمة صاحب أعيان العصر<sup>(١١)</sup> : وكانت بيني وبينه صداقة منذ كنت صغيراً ؛ فأنه كان يردد إلى والدي نصيحته ولم يزل مساجباً لي إلى أن قضى نحبه وكانت قد ساعدته آخر عمره فولي كتابه الفست بدمشق ثم ساعدته فولي كتابة السر بطلب ثم ساعدته فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال وكتابة الفست واستمر بها إلى أن مات بالطاعون ليلة ١٠ سوال سنة ٧٤٥ هـ وكانت له همة عالية في التحصيل فما صنف كتاباً إلا وسأني فيه ما يحتاج إليه من فقه ومذهب وأصول ونحو لا سيما أعيان العصر فانا أشرت إليه بعمله ثم استعان بي في آخره فانا أخرجت مختصر في الأصول السمي جمع الجوامع كتبه بخطه وصار يحضر الحفلة وهو شراً عليّ وبعد له التبرير وسعد الله عليّ وربما شارك في فهم البعض منه بحمد الله تعالى . ا هـ

وجاء في القاسوس المحيط : ومؤلفه الفيروزآبادي من تلاميذ تقي الدين السبكي أيضاً . في مادة سبك : سبك الضحك قرية بمصر وسك العبيد أخرى بها منها شيخنا علي بن عبد الكافي . ا هـ . ويعيد أن يخطي مثل الفيروزآبادي في معرفة القرية التي منها شيخه من وجه ذكرها وذكر معها سبك الأخرى .

ثم يأتي ثم بن عبد الرحمن السخاوي فيحضرنا في الضوء اللامع<sup>(١٢)</sup> عند كلامه على موسى بن أحمد بن موسى بن عبد الله بن سبكي من علماء القرن التاسع الهجري أن موسى هذا يعرف في بلدة كـ يقفني بأبن سيد الدار ولد بسبك العبيد وتسمى أيضاً سبك الحد<sup>(١٣)</sup> هذا وابن الجيعان في الصفحة الستة يذكر سبك الضحالك ويذكر بعدها سبك العبيد . والنزدي<sup>(١٤)</sup> شارح القاسوس وهو من أهل القرن الثاني عشر الهجري وأوائل

(١١) الطباقات الكبرى ج ٦ ص ٩٤ .

(١٢) الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٧٦ العدد ٢٥٤

(١٣) الحد ظمية الأحمد حسب الظهور فإن أريد بهذا الحد المسجدة فقد يكون هناك سبب لم يثبت اليه تسمية سبك المؤيدان الحد غير كون موقفاً يوم الأحد .

(١٤) الريدي ١١٤٥ هـ - ١٢٠٥ هـ ؛ وصل إلى مصر في سنة ١١٩٧ هـ وسكن بمكان المرافقة ثم تزوج وسكن منطقة الفسال وشرع في تأليف تاج العروس وانتقل إلى منزل بسوقه الا سنة ١١٨٩ هـ .



الثالث عشر قول في مادة سبك : سبك الضحك ، تنصر من أعمال المتوفية وهي المعروفة الآن بسبك الثلاثاء وقد دخلتها ويت بها ليعتين وسبك العبيد قرية أخرى بها من المتوفية أيضاً وقد دخلتها سراراً عديدة وهي تعرف الآن بسبك الأحمد وسبك العويضا (١) . ١ هـ  
ويعد أن ذكر أن منها السبكية ثان : وأولاده - يعني أولاد بني العبد - وال سبكي مشهورون بالفضل ينسبون إلى الانتصار وابن جهم أبو البركات (٢) محمد بن مالك بن أسد بن عبد الفت بن علي بن تمام السبكي وحفيده الفتى ابن علي بن محمد عديون . ١ هـ  
لم يبق بعدما تقدم شك في أن سبك الضحك ليست سبك العبيد .  
إنما سبك العبيد هي سبك العويضا .  
والسبكية المشهورون في دولتي المالك من سبك العويضا ما في ذلك شك .

هذا وقد جاء في طبقات الشافعية لابن قاضي شهيد أن علي بن عبد السلق ولد بسبك من أعمال الشرقية ، وأخذ عنه ذلك بعض المستشرقين .  
ولم أجد فيما اطلعت عليه من المصادر ما يدل على أن سبك كانت يوماً ما من الأعمال الشرقية ولا أقول هذا محتملاً ؛ فقد عهدنا بعض القرى تنقل من إقليم إلى إقليم للتجارة وهو غير قائم في حالة منطقى سبك والشرقية فالأرجح إن لم يكن الخلق أن الشرقية في ذلك ابن قاضي شهيد تصحيف من التاسع وطريقة الكتابة العربية ولا سيما في ذلك العصر يسيل معها الخلط بين المتوفية والشرقية إذا لم تعجم الحروف . وكان هذا مألوفاً .

ودعيت وسنقله إلى أن سبك سكان بجوار منف وأخذ هذا عند مؤرخين ولايب مادة سبك في دائرة المعارف الإسلامية ، والذي يتبادر إلى الذهن أن هذا اللبس مقصور على المستشرقين ولهم العذر في عدم التفرقة بين سنوف وهي تذكر عند الكلام على سبك أ

طاب منة الأمير محمد أبو الذهب نسخة من راج العروس وحملها في خزائنه كتب مسجدة المواجه للآهر ( مسجد محمد بك ) .

وطالب أبو يدي إلى الدولة العلية سنة ١٦٩٤ هـ فأجاب ثم اعنته  
أصيب بالطاعون بعد صلاة الجمعة في مسجد الكردي المأهولة بآدمه فتوفي ودفن بالبصرة وقية .  
( ١ ) واضح من هذا أن القرية بعد أن كانت قديماً مشهورة بسبك العبيد أخذت عسداً الاسم بتلاشي سبك حتى وحل محله سبك العويضا الباقى إلى الآن .  
( ٢ ) أرجع إلى شجرة السبكية .

ورين منف . لكن وجدت هذا الخطأ معروفا قبل أن يعرض المستشرقون هذا الموضع بل  
قبل أن يوجه المستشرقون بالمعنى الذي نعرفه . فقد قال القلقشندي عند كلامه على سنوف  
ما يأتي :

« واما غلط فيها بعض الناس فظن أنها منف النضمة المذكور في الكلام على قواعد مصر  
المتقدمة وبينهما بعد كثير » إذ منف المتقدمة المذكور جنوبي النسطاط على التي عسرميلا  
منه . ثم ذكره وعنه شمال النسطاط والقاهرة في أسفل الأرض . ا .

## نسبة السبكية

اشهر أن السبكية من الخزع . ولا سبيل إلى تحقيق صحة هذه النسبة أو عدم صحب .  
والظاهر أن السبكية أنفسهم لم يعرفوا مبلغ هذه النسبة من الصحة فلم يلتزموا ولا ينهوا .  
يقول تاج الدين السبكي : نقلت من خط الحيد - يعنى عبد الكفى - نسبتنا معاصر  
السبكية إلى الأنصار . وقد رأيت الحافظ النسابة شرف الدين الديباطي يكتب بخطه  
لشيخ الأمام الوالد - يعنى على بن عبد الكفى - « الأنصارى الخزعجى » . ٥١  
على أن تاج الدين نفسه يروى لنا ما يفيد عدم قطعهم بصحة هذه النسبة فهو يقول :  
ولم يكتب الشيخ الأمام - يعنى والده تقي الدين - بخطه لنفسه « الأنصارى » قط وإن  
كان ليخطا الديباطي يكتبها له . وإنما كان الشيخ الأمام يترك ذلك لوفور عقله ومزيد ورعه  
فلا يرى أن يظرف نحوه طعناً (كذا) من الفكر بن ولا أن يكتبها مع احتمال عدم الصحة ...  
وقد كانت الشعراء يمدحونه ولا يخلون قصائدهم من ذكر نسبته إلى الأنصار وهو لا يفكر  
ذلك عليهم . ولأن أروع وأثنى لله من أن سكنت على ما يعرفه باطلا . وقد قرأ عليه شاعر  
العصر ابن بيانه غالب قصائده التي امتلح بها وفيها ذكر نسبته إلى الأنصار والشيخ  
الاسام يقره ... ٥١

ولو كانت الشهرة أنهم أشرف لكان الشك في النسبة شبه مقطوع به لأن مدعى  
النسبة إلى آل البيت لا يكادون يحصون عدداً قالا كثفاء بالنسبة إلى الأنصار دون آل البيت  
يعملها لما يضمن الصديق .

ولو ما تكونى بنت أكرم والسيد      لكان أباك الضخم كوكب في السما





End of the world





I 14806277

B 13050898

DATE DUE

JAN 1975





8 JAN 1992

